**١إِن السَّبَب الَّذِي احتجت من أَجله إِلَى الْكَلَام**

هُوَ أَن الْإِنْسَان الْوَاحِد قد كَانَ غير مكتف بِنَفسِهِ فِي حَيَاته، وَلَا بَالغ حاجاته فِي تَتِمَّة بَقَائِهِ مدَّته الْمَعْلُومَة وزمانه الْمُقدر الْمَقْسُوم احْتِيجَ إِلَى استدعاء ضروراته فِي مَادَّة بَقَائِهِ من غيره، وَوَجَب بشريطة الْعدْل أَن يُعْطي غَيره عوض مَا استدعاه مِنْهُ بالمعاونة الَّتِي من أجلهَا قَالَت الْحُكَمَاء: إِن الْإِنْسَان مدنِي بالطبع

الْكَلم إِذا نظر إِلَيْهَا بِحَسب دلالتها على الْمعَانِي أَن تكون على أَحْوَال خمس لَا أقل مِنْهَا وَلَا أَكثر وجدت منقسمة إِلَيْهَا لَا غير وَهِي:

أَن يتَّفق اللَّفْظ وَالْمعْنَى مَعًا

أَو يختلفا مَعًا

أَو تتفق الْأَلْفَاظ وتختلف الْمعَانِي

أَو تخْتَلف الْأَلْفَاظ وتتفق الْمعَانِي

أَو تتركب اللَّفْظَة فيتفق بعض حروفها وَبَعض الْمَعْنى وتختلف فِي الْبَاقِي.

وَتكلم عَلَيْهَا الْمُفَسّرين وسموها المتفقة والمتباينة والمتواطئة والمترادفة والمشتقة

الْمعَانِي وَالْأَحْوَال الَّتِي تتَصَوَّر للنَّفس كَثِيرَة جدا وَأَنَّهَا بِلَا نِهَايَة فَأَما الْحُرُوف الْمَوْضُوعَة الدَّالَّة بالتواطؤ والمركبات مِنْهَا فمتناهية محصورة محصاة بِالْعدَدِ وَمن الْأَحْكَام الْبَيِّنَة والقضايا الْوَاضِحَة ببدائه الْعُقُول أَن الْكثير إِذا قسم على الْقَلِيل اشتركت عدَّة مِنْهَا فِي وَاحِدَة لَا محَالة فَمن هَهُنَا حدث الِاتِّفَاق فِي الإسم وَهُوَ أَن تُوجد لَفْظَة وَاحِدَة دَالَّة على معَان كَثِيرَة الَّتِي يحْتَاج فِيهَا إِلَى الإطالة والإسهاب وترديد الْمَعْنى الْوَاحِد على مسامع الْحَاضِرين ليتَمَكَّن من النُّفُوس وينطبع فِي الأفهام -

أما الْفرق بَين العجلة والسرعة فَإِن العجلة على الْأَكْثَر تسْتَعْمل فِي الحركات الجسمانية الَّتِي تتوالى وَأكْثر مَا تَجِيء فِي مَوضِع الذَّم.وَأَيْضًا فَإِنَّك لَا تسْتَعْمل الأمر من العجلة إِلَّا لأَصْحَاب المهن الدنية وَلَا تَقوله إِلَّا لمن هُوَ دُونك فَأَما السرعة فَإِنَّهَا من الْأَلْفَاظ المحمودة وَأكْثر مَا تَجِيء فِي الحركات غير الجسمانية وَذَلِكَ أَنَّك تَقول فلَان سريع الهاجس وسريع الْأَخْذ للعلم وَقد أسْرع فِي الأمر وأسرع فِي الْجَواب [اي] { وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} ظَاهر فَإِن الأشر والمرح لَا يستعملان إِلَّا فِي الذَّم وَالْعَيْب وَأما السرُور والفرح فليسا من أَلْفَاظ الذَّم.

فَأَما السرُور والفرح وَإِن كَانَا متقاربين فِي الْمَعْنى فَإِن أَحدهمَا وَهُوَ السرُور لَا يسْتَعْمل إِلَّا إِذا كَانَ فَاعله بك غَيْرك.

وَأما الْفَرح فَهُوَ حَال تحدث بك غير فَاعل

فلفظة ٱلبعد:وَإِن كَانَ كالجنس مستعملة فِي كل وَاحِدَةمن ٱلجِهَات فَإِنَّهُ يخْتَص بِٱلأَخْذ طولاًوَأما لَفظَة نزح فَإِنَّهُ يخْتَص بِٱلأَخْذِ عمقاً فأصله فِي ٱلبِئْر وَمَا جرى مجْراهَا من العمق

وَأما هزل فلَان ومزح فبينهما فرق وَذَلِكَ أَن ٱلهزْل هُوَ ضد ٱلجد وَهُوَ مَذْمُومفَأما المزح فَلَيْسَ بمذموم:كَانَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يمزح وَلَا يَقُول إِلَّا حَقًا وَلم يكن يهزل

حجب فلَان وَصد فَإِن ٱلحجاب معنى سَابق وَكَأَنَّهُ سَبَب للصدود وَلما كَانَ الصدود هُوَ الإِعْرَاض بِٱلوَجْهِ

وَأما قَوْلهم جلس فلَان وَقعد فَإِن ٱلهَيْئَة وَإِن كَانَت وَاحِدَة فَإِن الْجُلُوس لما كَانَ بعقب اتكاء واستلقاء

وَٱلقعُود لما كَانَ بعقب قيام وانتصاب –

كَانَ فلَان مُتكئا فَاسْتَوَى جَالِسا وَلَا تَقول اسْتَوَى قَاعِدا

ٱلفرق بَين صمت وَسكت أَيْضا غير ملتبس لِأَن السُّكُوت لَا يكون إِلَّا من مُتَكَلم وَلَا يَقع إِلَّا من نَاطِقوَأما الصمت فَلَيْسَ يَقع إِلَّا عَن نطق لَا محَالة لِأَنَّهُ يُقَال:جَاءَ فلَان بِمَا صاء وَصمت يَعْنِي بِهِ

**٢-(لم تحاث النَّاس على كتمان ٱلأَسْرَار)** 

أَن للنَّفس قوتين

فَهِيَ بِٱلقُوَّةِ الآخذة تستثيب المعارف وتشتاق إِلَى تعرف الأَخْبَار

وَهَذِه ٱلقُوَّة هِيَ انفعال وشوق إِلَى الْكَمَال الَّذِي يخص النَّفس.

وَهِي بِٱلقُوَّةِ المعطية تفيض على غَيرهَا مَا عِنْدهَا من المعارف

وَهَذِه ٱلقُوَّة لَيست انفعالاً بل فاعلة.

فَكل إِنْسَان يحرص بِإِحْدَى قوتيه على ٱلفِعْل وَهُوَ الإِعْلَام وبالأخرى على الانفعال وَهُوَ الاستعلام.

فقد ظهر السَّبَب الدَّاعِي إِلَى إِخْرَاج السِّرّ وَهُوَ أَن النَّفس لما كَانَت وَاحِدَة واشتاقت بِإِحْدَى قوتيها إِلَى الاستعلام واشتاقت بِٱلأُخْرَى إِلَى الأَعْلَام - لم ينكتم سر بتة.وَهَذَا هُوَ تَدْبِير إلهي عَجِيب وَمن أَجله نقلت الأَخْبَار ٱلقَدِيمَة وحفظت قصَص الأُمَم

وَقَالُوا:لَا ينكتم سر وَإِنَّمَا يتَقَدَّم ظُهُوره أَو يتَأَخَّر.

فحقيق علىصَاحب السِّرّ أَن يستودعه إِلَّا ٱلقَادِر على نَفسه

وَإِنَّمَا يتم للإِنْسَان ذَلِك بِخَاصَّة قُوَّة العقل

أَن الْإِنْسَان دَائِما فِي جِهَاد النَّفس بِقُوَّة عقله لِأَنَّهُ مُحْتَاج إِلَى ردعها بِهِ وَإِلَى ضَبطهَا ومنعها من شهواتها الردية حَتَّى لَا يُصِيب مِنْهَا إِلَّا بِمِقْدَار مَا يُطلقهُ الْعقل ويحده لَهَا وَمَا يرسمه ويبيحه إِيَّاهَا.

وَإِخْرَاج السِّرّ من جملَة هَذِه الشَّهَوَات وَهُوَ مُتَعَلق بالإخبار والإعطاء إِذا كَانَ لحفظ السِّرّ هَذَا الْموقع من المجاهدة للنَّفس لِأَنَّهَا تحرص فِي إِظْهَاره على أَمر ذاتي لَهَا وَإِنَّمَا يقمعها الْعقل ويمنعها

وَرُبمَا وجدت إِحْدَى هَاتين القوتين فِي بعض النَّاس أقوى وَالْأُخْرَى أَضْعَف فَإِن من النَّاس من يحرص على الحَدِيث وَمِنْهُم من يحرص على الِاسْتِمَاع وَمِنْهُم الضنين بِالْعلمِ وَمِنْهُم السَّمْح بِهِ وَمِنْهُم الْحَرِيص على التَّعَلُّم

فَكَانَ يَقُول لصَاحبه: إِذا كَانَ لَك سر تحب كِتْمَانه وَتكره إذاعته فَلَا تطلعني عَلَيْهِ وَلَا تجعلني مَوْضِعه وَلَا تبلني بحفظه فَإِنَّهُ أجد لَهُ فِي صَدْرِي وخزاً كوخز الأشافي ونخس الأسنة.

وَأَنا وَالله أجد من الرَّاحَة مَا يجده المثقل بِالْحملِ إِذا خفف عَنهُ وكأنني فرغته من وعَاء ضيق إِلَى أوسع مِنْهُ

وَهَذَا مَا تَقول الْعَامَّة: للحيطان آذان

**٣: لم ثار اسْم من الْأَسْمَاء أخف عِنْد السماع من اسْم حَتَّى إِنَّك لتجد الطَّرب يعترى سامع ذَاك**



بالبحث مُتَعَلق على النَّفس والسمع والطبع من هَذِه الْأَشْيَاء فَإِنَّهُ إِن كَانَ قبُولهَا لعِلَّة فمجها لعِلَّة وَإِن كَانَ وصالها لسَبَب فصدودها لسَبَب.

فبعض الْأَصْوَات أقرب إِلَى الرئة وَأبْعد من الشّفة وَبَعضهَا أقرب إِلَى الشّفة وَأبْعد من الرئة والوسائط بَين هذَيْن الْمَوْضِعَيْنِ كَثِيرَة. فَالنَّفس وَهُوَ الْهَوَاء إِذا خرج من الرئة إِلَى أَن يبلغ الشّفة لَهُ مَسَافَة بَين أقْصَى الْحُلْقُوم وَبَين مُنْتَهى الْفَم وَالْإِنْسَان مقتدر على تقطيع هَذَا الْهَوَاء بالاقتراعات الْمُخْتَلفَة غي طول هَذِه الْمسَافَة فيخرق هَذَا الْهَوَاء مرّة فِي أقْصَى الْحلق وَمرَّة فِي أدناه وَمرَّة فِي غَار الْفَم إِلَى أَن يصير لَهَا ثَمَانِيَة وَعشْرين موضعا.

أَن نتكلم فِي سَبَب قبُول النَّفس بعض الْأَصْوَات أَكثر من بعض الْأَصْوَات فِي المزمار مُخْتَلفَة الْقبُول عِنْد النَّفس - كَانَت الْحُرُوف كَذَلِك أَيْضا لَا فرق بَينهَا وَبَينهَا بِوَجْه وَلَا سَبَب فقد بَان أَن الْحُرُوف أَنفسهَا مُقودَة لَهَا مواقع من النَّفس مُخْتَلفَة فبعضها أوقع عِنْدهَا من بعض

**٤-( لم تواصى النَّاس فِي جَمِيع اللُّغَات والنحل وَسَائِر الْعَادَات)**

الْعلم بَحر وفائت النَّاس مِنْهُ أَكثر من مدركه ومجهوله أَضْعَاف مَعْلُومَة

وظنه أكثر من يقينه والخافي عَلَيْهِ أكثر من البادي وَمَا يتوهمه فَوق مَا يتحققه وَالله تَعَالَى يَقُول: [اي] {وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء}
ارْفُقْ بِنَا يَا أَبَا حَيَّان - رفق الله - وأرخ من خناقنا وأسغنا ريقنا وَدعنَا وَمَا نعرفه فِي أَنْفُسنَا من النَّقْص فَإِنَّهُ عَظِيم وَمَا بلينا بِهِ من الشكوك فَإِنَّهُ كثير وَلَا تبكتنا بِجَهْل مَا علمناه وفوتمَا أدركناه فتبعثنا على تَعْظِيم أَنْفُسنَا وتمنعنا من طلب مَا فاتنا

الْإِنْسَان مركبا من جزأين وممزوجاً من قوتين وَكَانَ أشرف جزأيه هُوَ النَّفس الَّتِي لَيْسَ وجودهَا فِي كَون وَلَا هِيَ متركبة من أجزَاء متعادية متضادة بل هِيَ جَوْهَر بسيط بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْجِسْم وَهِي قُوَّة إلهية غنية بذاتهاوَجب أَن يكون شغل الْإِنْسَان بِهَذَا الْجُزْء أفضل من شغله بالجزء الآخر لِأَن هَذَا بَاقٍ وَذَاكَ فان وَهَذَا جَوْهَر وَاحِد وَذَاكَ جَوَاهِر متضادة وَهَذَا لَهُ وجود سرمدي وَذَاكَ لَا وجود لَهُ إِلَّا فِي الْكَوْن الَّذِي لَا ثبات لَهُ.

أَن الْإِنْسَان إِذا أحس بِهَذِهِ الْفَضَائِل الَّتِي فِي نَفسه والرذائل الَّتِي فِي جِسْمه - وَجب عَلَيْهِ أَن يستكثر من الْفَضَائِل

فَأَما حرص النَّاس - مَعَ شُعُورهمْ بِهَذِهِ الْفَضِيلَة - وكلبهم على الدُّنْيَا بركوب الْبر وَالْبَحْر لأجل الملاذ الخسيسة فَلِأَن الْجُزْء الَّذِي فِينَا معاشر الْبشر من الْجِسْم الطبيعي أقوى من الْجُزْء الآخر



وَالْخَارِج عَن مزاج الِاعْتِدَال قد تيقَّن أَنه بالحمية وَترك الشَّهَوَات يعود إِلَى الصِّحَّة والاعتدال الطبيعي وَهُوَ مَعَ ذَلِك لَا يمْتَنع من كثير من شهواته لشدَّة جاذبتها لَهُ وغلبتها على صَحِيح عقله وثاقب فكره ونصيحة طبيبه حَتَّى إِذا فرغ من مواقعه تِلْكَ الشَّهْوَة وأحس بالألم نَدم ندامةيظنّ مَعهَا أَلا يعاود أبدا ثمَّ لَا يلبث أَن تهيج بِهِ شَهْوَة أُخْرَى أَو هِيَ بِعَينهَا وَهُوَ فِي ذَلِك يعظ نَفسه ويديم تذكيرها الْأَلَم ويشوقها إِلَى الصِّحَّة وَلَا يَنْفَعهُ وعظ وَلَا تذكير لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذكرنَاهَا قبل من شدَّة مجاذبة الشَّهْوَة الْحَاضِرَة حَتَّى ينَال شَهْوَته ثَانِيًا ثمَّ هَذِه حَال مستمرة بِهِ مَا دَامَ مَرِيضاوَكَذَلِكَ هُوَ أَيْضا فِي حَالَة الصِّحَّة يتَنَاوَل من الشَّهَوَات مَا يعلم أَنه يخرج عَن مزاج الِاعْتِدَال وَلَا يَأْمَن هجوم الْأَمْرَاض عَلَيْهِ فيحمله سوء التحفظ وَشدَّة مجاذبة الطبيعة

من ذكر السَّبَب وَالْعلَّة وَالْمَسْأَلَة عَن الْفرق بَينهمَا
فَإِن السَّبَب هُوَ الْأَمر الدَّاعِي إِلَى الْفِعْل ولأجله يفعل الْفَاعِل.
فإمَّا الْعلَّة فَهِيَ الفاعلة بِعَينهَا
وَلذَلِك صَار السَّبَب أَشد اختصاصاً بالأشياءالعرضية وَصَارَت الْعلَّة أَشد اختصاصاً بالأمور الجوهرية.

وَأما الْفرق الَّذِي سَأَلته بَين الْوَقْت وَالزَّمَان والدهر والحين فَإِن الْوَقْت قدر من الزَّمَان مَفْرُوض مُمَيّز من جملَته مشار إِلَيْهِ بِعَيْنِه. وَكَذَلِكَ الْحِين هُوَ مُدَّة أطول من الْوَقْت وأفسح وَأبْعد
فَأَما الدَّهْر فَلَيْسَ من الزَّمَان وَلَا الْحِين وَلَا الْوَقْت فِي شَيْء وَلكنه أخص بالأشياء الَّتِي لَيست فِي زمَان وَلَا مقدرَة بحركات الْفلك لِأَنَّهَا أَعلَى رُتْبَة من الْأُمُور الطبيعيةفَأَقُول: نِسْبَة الزَّمَان إِلَى الْأُمُور الطبيعية كنسبة الدَّهْر إِلَى الْأُمُور غير الطبيعية
على الْإِنْسَان الْكَامِل بِالْعقلِ أَلا يقْعد عَن السَّعْي والطلب لتكميل نَفسه بالمعارف وَلَا يني وَلَا يفتر مُدَّة عمره عَن الازدياد من الْعُلُوم الَّتِي بهَا يصير من حزب الله الغالبين وأوليائه الفائزين الآمنينَ الَّذين لَا خوف عَلَيْهِم وَلَا هم يَحْزَنُونَ.
إِمَّا أَسف على فَائت ونزاع إِلَيْهِ أَو لهف على مَفْقُود وحزن عَلَيْهِ لِأَن الْأُمُور الَّتِي يطلبونها لَا ثبات لَهَا وَلَا نِهَايَة لأشخاصها وَلَا وجود بِالْحَقِيقَةِ لَهَا
فَأَما الْقَوْم الَّذين يفنون أعمارهم فِي قنية الذَّهَب وَالْفِضَّة ويجعلون سَعْيهمْ كُله مصروفاً إِلَى الْأُمُور الزائلة الفانية من اللَّذَّات الجسمانية والشهوات الْبَدَنِيَّة فهم الَّذين قد بعدوا من الله وصاروا من حزب الشَّيْطَان فوقعوا فِي الأحزان الطَّوِيلَة وَالْخَوْف الدَّائِم والخسران الْمُبين



**٥- لم طلبت بالدنيا بِالْعلمِ وَالْعلم ينْهَى عَن ذَلِك؟**
أما طلب الدُّنْيَا فضروري للْإنْسَان فَإِن وجوده بِأحد جزأيه طبيعي وَلَا بُد من إِقَامَة هَذَا الْجُزْء بمادته لِأَنَّهُ سيال دَائِم التَّحَلُّل وَلَا بُد من تعويض مَا يتَحَلَّل مِنْهُ.وَلم ينْه الْعلم عَن هَذَا الْمِقْدَار
وَالثَّانِي أَنَّهَا تعوقنا عَمَّا هُوَ أخص بِنَا من حَيْثُ نَحن نَاس أعنى الْجُزْء الآخر الَّذِي هُوَ فَضِيلَةفَمن طلب بِالْعلمِ من الدُّنْيَا قدر الْحَاجة فِي حفظ الصِّحَّة على الْجَسَد فَهُوَمُصِيب تَابع لما يرسمه الْعقل وَيَأْمُر بِهِ الْعلم. وَمن طلب أَكثر من ذَلِك فَهُوَ مفرط مُسْرِف.
إِن النَّاس لما اخْتلف نظرهم بِحَسب جزئيهفناظر إِلَى الطبيعة وناظر إِلَى الْعقل وناظر فيهمَا مَعًا -
النَّاظر فِي أحد جزأيه دون الآخر مخطىء لِأَنَّهُ مركب مِنْهُمَا مَعًا والناظر فيهمَا مُصِيب إِذا قسط لكل وَاحِد مِنْهُمَا قسطاً من نظره
الزهاد وهم طَبَقَات وَفِي الفلاسفة مِنْهُم قوم وَفِي أهل الْأَدْيَان والمذاهب والأهواء مِنْهُم طوائف وَفِي شريعتنا الْإِسْلَام مِنْهُم قوم وَسموا أنفسهم

بالصوفية وَقَالَ مِنْهُم قوم بِتَحْرِيم المكاسبوَإِذ قد بَينا غلط النَّاظر فِي أحد جزأيه
إِن الْإِنْسَان هُوَ مركب من هَاتين القوتين لَا قوام لَهُ إِلَّا بهما فَيجب أَن يكون سَعْيه نَحْو الطبيعي مِنْهُمَا والعقلي مَعًا. أما السَّعْي الطبيعي فغاية الْإِنْسَان فِيهِ حفظ الصِّحَّة على بدنه والاعتدال على مزاج طبائعه لتصدر الْأَفْعَال عَنهُ تَامَّة غير نَاقِصَة

**٦-(مَا السَّبَب فِي اشتياق الْإِنْسَان إِلَى مَا مضى من عمره)**

حَتَّى إِنَّه ليحن حنين الْإِبِل ويبكي بكاء المتململ وَيطول فكره بتخيله مَا سلف وَبِهَذَا الْمَعْنى هتف الشَّاعِر فَقَالَ: وَقَالَ الآخر:رب يَوْم بَكَيْت مِنْهُ فَلَمَّا صرت فِي غَيره بَكَيْت عَلَيْهِ. وَقَالَ الآخروَأَرْجُو غَدا فَإِذا مَا أَتَى بَكَيْت على أمسه الذَّاهِب.
لَيْسَ يشتاق إِلَى الشَّبَاب وَالصبَا إِلَّا أحد رجلَيْن:إِمَّا فَاقِد شهواته ولذاته الَّتِي سورتها وحدتها وَقت الشَّبَابوَإِمَّا فَاقِد صِحَّته فِي السّمع وَالْبَصَر أَو بعض أَعْضَائِهِ الَّتِي قوتها ووفورها زمن الصِّبَا وَحين الحداثة
وَهَهُنَا سَبَب ثَالِث يشوق إِلَى الصِّبَا وَهُوَ أَن الأمل حِينَئِذٍ فِي الْبَقَاء قوي وَكَأَالْإِنْسَان ينْتَظر أَمَامه حَيَاة طَوِيلَة فَكلما مضى مِنْهَا زمَان تَيَقّن أَنه من أمده الْمَضْرُوب وعمره الْمَقْسُوم فاشتاق إِلَى أَن يسْتَأْنف بِهِ طَمَعا فِي الْبَقَاء السرمدي الَّذِي لَا سَبِيل للجسد الفاني إِلَيْهِ
والمتشوق إِلَى شهواته صورته عِنْد الْحُكَمَاء صُورَة من أعتق فاشتاق إِلَى الرّقّ أَو صُورَة من أفلت من سِبَاع ضارية كَانَت مقرونة بِهِ فاشتاق إِلَى معاودتها
فقد بَان أَن السن الَّتِي تضعف فِيهَا قوى الطبيعة حَتَّى يقتدر عَلَيْهَا الْعقل فيزمها ويجرها ذليلة طَائِعَة غير متأبية وَلَا هائجة - أفضل الْأَسْنَان عِنْد جَمِيع أهل الْعقل وَأَنه إِذا كبر وأسن لم يشتق إِلَى الشَّبَاب لِأَن ضَبطه لنَفسِهِ وقمعه لشهواته أيسر عَلَيْهِ وأهون.

**٧-( لم اقْترن الْعجب بِالْعلمِ)**

وَالْعلم يُوجب خلاف ذَلِك من التَّوَاضُع والرقة وتحقير النَّفس والزراية عَلَيْهَا بِالْعَجزِ
وَأَنَّهَا مرض سَببه مكاذبة النَّفس وَذَلِكَ أَن حَقِيقَة الْعجب هِيَ ظن الْإِنْسَان بِنَفسِهِ من الْفضل مَا لَيْسَ فِيهِ

من أعجب آفَات النَّفس وأكاذيبها لأجل أَن الْكَذِب فِيهِ مركب فقد يكذب الْإِنْسَان غَيره ليصدقه الْغَيْر فيموه نَفسه عَلَيْهِ فَأَما أَن يموه نَفسه بِالْكَذِبِ ثمَّ يصدق فِيهِ نَفسه فَهُوَ موضِع الْعجب

**٨ -(مَا سَبَب الْحيَاء من الْقَبِيح مرّة وَمَا سَبَب التبجح بِهِ مرّة)**

أما الْحيَاء الَّذِي أَحْبَبْت أَن نبدأ بِهِ فحقيقته انحصار نفس مَخَافَة فعل قَبِيح يصدر عَنْهَا

ويدل على أَن نَفسه قد شَعرت بالشَّيْء الْقَبِيح وأشفقت من مواقعته وكرهت ظُهُوره

سَبَب التبجح بالقبيح فمسألة غير لَازِمَة لِأَن هَذَا الْعَارِض سَببه الْجَهْل بالقبيح وَلَيْسَ يعرض إِلَّا للجهال من النَّاس

الْحيَاء شُعْبَة من الْإِيمَان فَكَلَام فِي غَايَة الْحسن وَالصِّحَّة والصدق وَكَيف لَا يكون شُعْبَة مِنْهُ وَإِنَّمَا الْإِيمَان التَّصْدِيق بِاللَّه عز وَجل والمصدق بِهِ مُصدق بصفاته وأفعاله الَّتِي هِيَ من الْحسن فِي غَايَة لَا يجوز أَن يكون فِيهَا وَفِي درجتها شَيْء من المستحسنات لِأَنَّهَا هِيَ سَبَب حسن كل حسن وَهِي الَّتِي تفيض بِالْحسنِ على غَيرهَا إِذْ كَانَت معدنه ومبدأه وَإِنَّمَا نَالَتْ الْأَشْيَاء كلهَا الْحسن وَالْجمال والبهاء مِنْهَا وَبهَا. وَكَذَلِكَ جَمِيع أوَامِر الله -تَعَالَى - وشرائعه وموجبات الْعقل الَّذِي هُوَ رَسُوله الأول ووكيله - عِنْد جَمِيع خلقه - الأقدم. وَمن عرف الْحسن عرف ضِدّه لَا محَالة وَمن عرف ضِدّه حذره وأشفق مِنْهُ فَعرض لَهُ الْحيَاء.

الْحيَاء لِبَاس سابغ، وحجاب واق وَستر من المساوىء.أَخُو العفاف وحليف الدّين ومصاحب بالتصنع ورقيب من الْعِصْمَ

**٩ -( مَا سَبَب من يدعي الْعلم وَهُوَ يعلم أَنه لَا علم عِنْده؟**

سَبَب ذَلِك محبَّة الْإِنْسَان نَفسه وشعوره بِموضع الْفَضِيلَة فَهُوَ لأجل الْمحبَّة يدعى لَهَا مَا لَيْسَ لَهَا لِأَن صُورَة النَّفس الَّتِي بهَا تحسن وَعَلَيْهَا تحصل وَمن أجلهَا تسعد - هِيَ الْعُلُوم والمعارف وَإِذا عريت مِنْهَا أَو من جلها حصلت لَهُ من المقابح ووجوه الشَّقَاء بِحَسب مَا يفوتها من ذَلِك

**١٠ -(مَا سَبَب فَرح الْإِنْسَان بِخَبَر ينْسب إِلَيْهِ وَهُوَ فِيهِ وَمَا سَبَب سروره بجميل يذكر بِهِ وَلَيْسَ فِيهِ)**

فَإِذا اعْترف الْإِنْسَان أَن نَفسه فاضلة خَيره وَجب أَن يسر لمحبوبه وَقد شهد لَهُ بِالْجمالِ وَالْحسن فَلذَلِك يسر إِن ذكر بجميل لَيْسَ فِيهِ

**١١ -(لم قبح الثَّنَاء فِي الْوَجْه حَتَّى تواطئوا على تزييفه)**

لما كَانَ الثَّنَاء فِي الْوَجْه على الْأَكْثَر إِعَارَة شَهَادَة بفضائل النَّفس وخديعة

الإِنْسَان بِهَذِهِ الشَّهَادَة حَتَّى صَار ذَلِك ـ لاغتراره وَتَركه كثيرا من الِاجْتِهَاد فِي تَحْصِيل الْفَضَائِل
وغرض فَاعل ذَلِك احْتِرَاز مَوَدَّة صَاحبه إِلَى نَفسه بِإِظْهَار مودته لَهُ ومحبته إِيَّاه ـ صَار كالمكر وَالْحِيلَة فذم وعيب.
فَأَما فِي المغيب فَإِنَّمَا حسن لِأَن قصد الْمثنى فِي الْأَكْثَر الِاعْتِرَاف بفضائل غَيره والصدق عَنهُ فِيهَا.
وَرُبمَا كَانَ الْقَصْد خلاف ذَلِك أَعنِي أَن يكون غَرَض الْمثنى فِي المغيب مخادعة الْمثنى عَلَيْهِ والطمع فِي أَن يبلغهُ ذَلِك عَنهُ فيتنفق عَلَيْهِ ويستميله ويستجر بِهِ مَنَافِعه وَهُوَ حِينَئِذٍ شَبيه بالحالة الأولى فِي الْمَكْر ومستقبح وَرُبمَا قصد الأول فِي الثَّنَاء والمدح فِي الْوَجْه الصدْق لَا الملق فَيصير مستحسناً إِلَّا بِقدر مَا يظنّ أَن الممدوح يغتر بِهِ فيقصر فِي الِاجْتِهَاد. فقد تبين أَن الثَّنَاء يحسن بِحَسب قصد الْمثنى وأغراضه وبحسب صدقه فِيهِ وَكذبه وعَلى قدر استصلاحه للمثنى عَلَيْهِ أَو استفساده وَلَكِن الأمر مَحْمُول على الْغَائِب فِي الظَّن وَالْعَادَة فِيهِ.

**١٢ -(لم أحب الْإِنْسَان أَن يعرف مَا جرى من ذكره بعد قِيَامه من مَجْلِسه)**

أَن للنَّفس قوتين إِحْدَاهمَا هِيَ الَّتِي بهَا يشتاق الْإِنْسَان إِلَى المعارف واستثباتها وَلما كَانَت هَذِه الْمعرفَة عَامَّة لَهُ فِي سَائِر الْأَشْيَاء كَانَت بِمَا يَخُصُّهُ فِي نَفسه الَّتِي هِيَ محبوبته ومعشوقته أولى.
فالإنسان يشتاق إِلَى هَذِه الْمعرفَة بالطبع الأول وَالْقُوَّة الَّتِي هِيَ ذاتية للنَّفس ثمَّ يتزيد هَذَا
فَأَما تَصنعهُ لفعل مَا يحب أَن يكون مَنْسُوبا إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يتْركهُ إِلَّا أَن يَعْتَرِضهُ عَارض آخر من شَهْوَة عاجلة تقاومه فَهِيَ أغلب وَأَشد مجاذبة لَهُ

**١٣ لم حمق الشَّاب إِذا تشايخ**

فَإِذا ادّعى الشَّاب مرتبَة الشَّيْخ الَّتِي قد انحطت فِيهَا هَذِه الْقُوَّة علم أَنه كَاذِب فاستقبح مِنْهُ الْكَذِب والرياء فِي غير مَوْضِعه وَمن غير حَاجَة إِلَيْهِ.
وَالْكذب إِذا كَانَ صراحاً وَغير خَفِي وَلَا صَاحبه يَأْتِيهِ من حَاجَة إِلَيْهِ ازْدَادَ مقت النَّاس لَهُ واستدل بِهِ على رداءة جَوْهَر النَّفس.
فَإِن اتّفق لهَذَا الشَّاب أَن يكون صَادِقا أَعنِي أَن تكون طَبِيعَته نَاقِصَة وشهوته خامدة اسْتدلَّ على نُقْصَان طبائعه وبرىء من عيب الْكَذِب إِلَّا أَن يكون مرحوماً لأجل نقص بعض طبائعه عَمَّا فطر عَلَيْهِ النَّاس وَيصير بِالْجُمْلَةِ غير مَذْمُوم وَلَا معيب إِذا كَانَ صَادِقا.

ج-وَأما إِن كَانَ صَادِقا فِي ضبط نَفسه مَعَ حَدَاثَة سنه والتهاب شهواته ومنازعة قواه إِلَى ارْتِكَاب اللَّذَّات فَإِن مثل هَذَا الْإِنْسَان لَا يلبث أَن يشْتَهر أمره ويعظم ذكره وَيصير إِمَامًا مَعْصُوما أَو نَبيا مَبْعُوثًا أَو وليا مستخلصاً.

سخف شيخ تفتى الشَّيْخ إِذا ادّعى تزيد قوى طَبِيعَته فِي حَال الشيخوخة لم يخل من كذب يمقت عَلَيْهِ - لَا سِيمَا وَكذبه إِنَّمَا هُوَ فِي ادِّعَاء شرور ونقصانات كَانَ يَنْبَغِي لَهُ وَلَو كَانَت مَوْجُودَة لَهُ أَن يجحدها أَو صدق يوبخ عَلَيْهِ إِذا لم يقهر هَذِه الْقُوَّة الْغَالِبَة عَلَيْهِ فِي الزَّمَان الطَّوِيل الَّذِي مد لَهُ فِيهِ ويتنبه فِي مثله على الْفَضَائِل ويتمكن فِيهِ من رياضة النَّفس واستكمال التَّأْدِيب فحاله أقبح من حَال الشَّاب إِذا تشايخ

فَأَما المجون فَهُوَ المسارعة إِلَى فعل مَا تستدعيه النَّفس الشهوانية من غير مُشَاورَة لِلْعَقْلِ وَلَا مراقبة للنَّاس.

وَأما الخلاعة فاشتقاقه من خلع العذار الَّذِي يضْبط بِهِ الْعقل أَفعاله. وَلَفظة الْعقل شَبيهَة بذلك لِأَنَّهُ من العقال. وَكَذَلِكَ الْحجر.

**١٤ - لم خص اللَّئِيم بالحلم؟ وَخص الْجواد بالحدة**

وَهل يجْتَمع الْحلم والجود؟ وَهل تقترن الحدة واللؤم؟

الْبَخِيل هُوَ الَّذِي يمْنَع الْحق من مستحقيه على مَا يَنْبَغِي وَفِي الْوَقْت الَّذِي يَنْبَغِي وكما يَنْبَغِي فَإِذا مَنعه الْبَخِيل الْحق على الْوُجُوه الَّتِي ذكرت صَار ظَالِما وَإِذا أحس بِهَذِهِ الرذيلة من نَفسه وَجب أَن يصبر على المتظلمين وهم الذامون

وَإِذا كَانَ الذام صَادِقا والبخيل يعرف صدقه بِمَا يجده من نَفسه فَيجب أَن يحلم لَا محَالة لموافقته الصدْق وَلِأَن النَّفس بالطبع تسكن عِنْد الصدْق فَإِذا جهل ذَلِك لم يعرف صدق من يصدقهُ عَنهُ وَلَا ظلمه وإنصافه وفيعرف قبح أَفعاله فتعرض لَهُ رذيلتان: إِحْدَاهمَا منع الْحق وَالْأُخْرَى الْجَهْل بِموضع الْحق فَرُبمَا عرض للجاهل الحدة والنزق والعدول عَن الْحلم

حَقِيقَة الْجُود هُوَ بذل مَا يَنْبَغِي في الوقت الَّذِي يَنْبَغِي على مَا يَنْبَغِي وَمن كَانَت لَهُ هَذِه الْفَضِيلَة لم ينْسب إِلَى الحدة لِأَن الْحَدِيد لَا يُمَيّز هَذِه الْمَوَاضِع فَهُوَ يتَجَاوَز حد الْجواد وَإِذا تجاوزه سمى مُسْرِفًا ومبذراً وَلم يسْتَحق اسْم الْمَدْح بالجود.

الْجُود الَّذِي هُوَ فَضِيلَة وسط بَين طرفين مذمومين: أَحدهمَا تَقْصِير وَالْآخر غلو. فَأَما جَانب التَّقْصِير من الْجُود فَهُوَ الَّذِي يُسمى الْبُخْل وَهُوَ مَذْمُوم وَأما الْجَانِب الَّذِي يَلِي الغلو فَهُوَ الَّذِي يُسمى السَّرف.

**١٥ -(لم كَانَ الْإِنْسَان مُحْتَاجا إِلَى أَن يتَعَلَّم الْعلم)**

وَلَا يحْتَاج إِلَى أَن يتَعَلَّم الْجَهْل لِأَنَّهُ فِي الأَصْل يُوجد جَاهِلا؟
الْعلم هُوَ إِدْرَاك النَّفس صور الموجودات على حقائقها
النَّفس إِذا اشتاقت إِلَى الْعلم الَّذِي هُوَ غايتها نقلت صُورَة الْمَعْلُوم إِلَى ذَاتهَا
حَتَّى تكون الصُّورَة الَّتِي تحصلها مُطَابقَة لصورة الْمَنْقُول مِنْهُ لَا يفضل
وَإِن كَانَت الصُّورَة المنقولة إِلَى النَّفس غير مُطَابقَة للمنقول فَلَيْسَ بِعلم.
كَانَ الْإِنْسَان مُحْتَاجا إِلَى تعلم الْعلم أَي إِلَى استثبات صور الموجودات
وتحصيلها عِنْده.
وَنحن فِي اقتناء هَذِه الصُّور محتاجون إِلَى تكلّف وَاحْتِمَال مشقة وتعب إِلَى
أَن تحصل لنا لِأَن عدمهَا فَلَيْسَ مِمَّا يتَكَلَّف ويتجشم بل النَّفس عادمة لتِلْك
مَذْهَب من يرى صور الْأَشْيَاء مَوْجُودَة للنَّفس بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا عرض لَهَا
النسْيَان وان الْعلم تذكر وَإِزَالَة لآفة النسْيَان عَن النَّفس.
فقد تبين أَن الْعلم تصور النَّفس بِصُورَة الْمَعْلُوم والتصور تفعل من
الصُّورَة.وَالْجهل هُوَ عدم الصُّورَة فَكيف يسْتَعْمل التفعل من الصُّورَة فِي
عدم الصُّورَة هَذَا محَال.

**١٦ -( لم شَارك المعجب من نَفسه المتعجب مِنْهُ)**

قل لبَعض الْحُكَمَاء: مَا أعجب الْأَشْيَاء قَالَ: السَّمَاء بكواكبها. وَقَالَ آخر:
أعجب الْأَشْيَاء النَّار. وَقَالَ الآخر: أعجب الْأَشْيَاء لِسَان النَّاطِق. وَقَالَ
الآخر:أعجب الْأَشْيَاء الْعقل اللَّاحِق. وَقَالَ الآخر: الشَّمْس.
قَالَ أرسطاليس: أعجب الْأَشْيَاء مَا لم يعرف سَببه.
وَقَالَ الآخر: بل أعجب الْأَشْيَاء الْجَهْل بعلة الشَّيْء.
وَقَالَ آخر:أعجب الْأَشْيَاء الرزق فَإِن مناطه بعيد وغوره عميق وَالْعقل مَعَ
شرفه فِيهِ حيران والعاقل مَعَ اجْتِهَاده سَكرَان.
قَالَ بعض الْأَوَّلين:أعجب الْأَشْيَاء إكداء الوافر ومنال الْعَاجِز.
وَقَالَ آخر من الصُّوفِيَّة: بعيد لَا يجْحَد وَقَرِيب لَا يشْهد وَهُوَ الْحق الْأَحَد.
نصيب الْعَارِف وَمَا بغية مَا ظفر بِهِ الموحد هَيْهَات {هَيْهَات}اشْتَدَّ الْغَلَط
وَرجع كل إِلَى الشطط وَفَاتَ الله الْفَهم والفاهم وَالوهم والواهم وَبَقِي مَعَ
الْخلق علم مُخْتَلف فِيهِ وَجَهل مصطلح عَلَيْهِ وَأمر قد تبرم بِهِ وَنهى قد
ضجر مِنْهُ: وحاجة فاضحة وَحجَّة داحضة وَقَول مُزَوق وَلَفظ منمق
وعاجل معشوق وآجل معوق وَظَاهر ملفق وباطن ممزق.
إِلَى الله الشكوى من غلبات الْهوى وسطوات الْبلوى إِنَّه رَحِيم ودود.
تعرض الْإِنْسَان عِنْد جهل السَّبَب فَكلما كَانَت الْمعرفَة بِأَسْبَاب الموجودات
أقل كَانَت المجهولات أَكثر والتعجب بحسبها أَشد وبالضد إِذا كَانَت الْمعرفَة

بِأَسْبَاب الموجودات أَكثر كَانَت المجهولات أقل والتعجب بحسبها أقل وَلذَلِك قَالَ قوم: كل شَيْء عجب. وَقَالَ قوم: لَا عجب من شَيْء فَإِن كَانَت الطَّائِفَة الأولى اعْتَرَفُوا بِالْجَهْلِ الْعَام وَزَعَمُوا أَنهم يجهلون أَسبَاب الْأُمُور فالطائفة الثَّانِيَة ادَّعَت لنَفسهَا مزية عَظِيمَة لأَنهم زَعَمُوا أَنهم يعْرفُونَ أَسبَاب الْأُمُور.

- مَا هَذَا التَّفَاوُت والتباين وَلَيْسَ فِي الْحق اخْتِلَاف وَلَا فِي الْبَاطِل ائتلاف وَلما كَانَ مَا يجهله زيد فيُعلمهُ عَمْرو وَلم يُنكر تفاوتهما فِي الْعجب لِأَن كل وَاحِد مِنْهُمَا متعجب مِمَّا يجهل سَببه ومجهول هَذَا هُوَ بِعَيْنِه مَعْلُوم هَذَا. النفسمحتاجة نَاقِصَة متكثرة مضطرة إِلَى سَبَب أولى وموجد قديم ومبدع لَيْسَ كهي فِي ذَات وَلَا صفة فَيكون هَذَا الْجَهْل أشرف من كل علم سبقه وَهُوَ من الصعوبة والغموض بِحَيْثُ ترَاهُ.

وَهُوَ غَايَة سَعَادَة الْبشر فَمن اشتاق إِلَيْهِ فليتكلف الصَّبْر على سلوك الطَّرِيق إِلَيْهِ صعباً كَانَ أَو سهلاً وطويلاً كَانَ أم قَصِيرا على عَادَة المشتاق فَإِنَّهُ يسْلك السَّبِيل إِلَى الظفر بمحبوبه كَيفَ كَانَت غير مفكر فِي الوعورة والبعد. وَمن لم يُعْط الصَّبْر على هَذَا السلوك فليقنع برخص الْأَلْفَاظ وَالصِّفَات الْمُطلقَة لَهُ فِي الشَّرَائِع الصادقة الْمُعْتَادَة وليصدق الْحُكَمَاء والأنبياء والمقتدين بهم وليحسن الظَّن فَلَيْسَ يجد غير هذَيْن الطَّرِيقَيْن.



**١٧ـ لم إِذا اشْتَدَّ الْأنس واستحكم وطَال الْعَهْد سقط التَّقَرُّب وسمج الثَّنَاء**

قيل: إِذا قدم الإخاء سقطالثَّنَاء

إِن الثَّنَاء فِي الْوَجْه وَغير الْوَجْه إِنَّمَا هُوَ إِعْطَاء الْمثنى عَلَيْهِ حُقُوقه من أَوْصَافه الجميلة وَالِاعْتِرَاف بهَا لَهُ وإعلامه أَن الْمثنى قد شعر بهَا وأوجبها لَهُ وَسلمهَا إِلَيْهِ ليصير ذَلِك لَهُ قربَة ووسيلة ولتحدث بَينهمَا الْمَوَدَّة والمشاكلة وليستجلب الود وتستحكم الْمعرفَة فَإِذا حصلت هَذِه الْأُمُور فِي نفس كل وَاحِد مِنْهُمَا وَعلم الْمثنى عَلَيْهِ أَن الْمثنى قد أنصفه وَسلم إِلَيْهِ حَقه واعترف لَهُ بفضله وَلم يبخسه مَاله وَحدثت الْمَوَدَّة والمحبة الَّتِي هِيَ نتيجة الْإِنْصَاف وَثَمَرَة الْعدْل.

وَقد قدمت هَذِه الْحَال وأتى عَلَيْهَا الزَّمَان سمج تكلّف إِظْهَار ذَلِك ثَانِيًا لذهاب الْغَرَض الأول وَحُصُول الثَّمَرَة الْمَطْلُوبَة بالسعي الأول. وتكلف مثل هَذَا عَبث وسفه مَعَ مَا فِيهِ من إِيهَام ضعف الْيَقِين الثَّنَاءالأول وَأَنه احْتَاج إِلَى تطرية وتجديد شَهَادَة لِأَن الشَّهَادَة الأولى كَانَت زوراً وظناً مرجماً. وَهَذَا توهين لعقد الْمَوَدَّة الَّتِي شهد لَهَا فِي الْمَسْأَلَة بِشدَّة الأسر واستحكام الأَصْل ووثاقة.

**١٨ -( لما صَار الْأَعْمَى يجد فائته من الْبَصَر فِي شَيْء آخر)**

إِنِ للنَّفس خَمْسَة مشاعر تستقي مِنْهَا الْعُلُوم إِلَى ذَاتهَا وَكَأَنَّهَا فِي الْمثل منافذ وأبواب لَهَا إِلَى الْأُمُور الْخَارِجَة عَنْهَا.

ذَلِك مِثَال عين مَاء يَنْقَسِم مَا يَنْبع مِنْهَا إِلَى خَمْسَة أَنهَار فِي خَمْسَة أوجه مُخْتَلفَة.وَقد علم أَن هَذِه الْعين مَتى سد مجْرى مَاء أحد أنهارها توفر على أحد الْأَنْهَار الْأَرْبَعَة الْبَاقِيَة

ولذلكيقضبون من الشّجر الشّعب والإغصان الَّتِي تستمد الْغذَاء الْكثير من الْأُصُول، ليتوفر على الْبَاقِي فَيصير ثمراً نتفعون بِهِ.

حَال الْأَعْمَى، فِي أَن إِحْدَى قوى نَفسه الَّتِي كَانَت تَتَصَرف إِلَى مُرَاعَاة حس من حواسه، لما قطعت عَن مجْراهَا توفرت النَّفس بهَا إِمَّا على جِهَة وَاحِدَة أَو جِهَات موزعة، فتبينت الزِّيَادَة، وَظَهَرت إِمَّا فِي الذِّهْن والذكاء أَو الْفِكر أَو الْحِفْظ أَو غَيرهَا من قوى النَّفس.

وكالحال فِي النَّحْل فَإِنَّهُ لما ضعف بَصَره كَانَ أدهى من المبصرات شماً فَأَما تميز الْأَعْمَى قلَة الْفَهم فَإِن سَببه أَيْضا، فقد النَّفس إِحْدَى آلاتها الَّتِي كَانَت تقتطعه عَن هَذِه الْأَشْيَاء بمراعاتها، فَإِذاانصرفت إِلَى الْفِكر فِي شَيْء آخر قوي فعلهَا فِيهِ. وَلما كَانَت الاهتمامات بالمبصرات كَثِيرَة، ودواعي النَّفس إِلَى اقتنائها شَدِيدَة كالملبوسات وأصنافها، والمفروشات وأنواعها، والمنتزهات وألوانها. وَبِالْجُمْلَةِ جَمِيع المدركات بالبصر، ثمَّ فقدته، انْقَطَعت عَن أَكثر الْأَشْيَاء الَّتِي هِيَ هموم الإِنْسَان، وأسبابه فِي الْفِكر، واستخرج الْحِيَل فِي تَحْصِيلهَا وَقت الطمع فِيهَا، وأسفه على قوتها إِذا فَاتَتْهُ، فتقل هموم الْأَعْمَى لأجل ذَلِك.



**١٩ -لم قَالَ النَّاس لَا خير فِي الشّركَة؟**

{لَو كَانَ فيهمَا آلِهَة إِلَّا الله لفسدتا} وَصَارَ هَذَا الْمَعْنى أشرف دَلِيل على تَوْحِيد الله جلّ ثَنَاؤُهُ وَنفي كل مَا عداهُ.

كل من اسْتغنى بِنَفسِهِ، وكفته قوته فِي تنَاول حَاجته لم يستعن فِيهَا بِغَيْرِهِ، فَإِذا عجز وَاحْتَاجَ إِلَى معاونة غَيره اعْترف بِالنَّقْص، واستمد قُوَّة غَيره فِي تَمام مطْلُوبهوَلما كَانَ الْعَجز مذموماً، وَالنَّقْص معيبا كَانَت الشّركَة الَّتِي سَببهَا الْعَجز وَالنَّقْص مَعِيبَة مذمومة لِأَنَّهُ يسْتَدلّ بهَا على النَّقْص

والشّركة للْإنْسَان لَيست مذمومة فِي جَمِيع أَحْوَاله

فَأَما الْأُمُور الَّتِي لَا يكمل الإِنْسَان الْوَاحِد لَهَا، وَلَا يسْتَقلّ بهَا أحد، فَإِن الشّركَة وَاجِبَة فِيهَا

فَإِنَّهُ لما كَانَ من الْأُمُور الَّتِي يَنْتَظِم بتدبير وَاحِد، وَأمر وَاحِد، وَإِن اشتركت فِيهِ الْجَمَاعَة، فَإِنَّهُم يصدرون عَن رَأْي وَاحِد، ويصيرون كآلات للْملك،

فتتآحد ٱلۡكَثۡرَة، وَيظۡهر النظام الۡحسن، كَانَ الاستبداد والتفرد بِهِ أفضل لَا محَالة

فَإِذا اخۡتلفت ٱلۡجَمَاعَة ٱلَّتِي تتعاون فِيهِ، وَلم تصدر عَن رَأۡيٍ وَاحِد، ظهر فِيهِ من ٱلۡخلَل، والوهن، والتفاوت، مَا يظۡهر فِي غَيره، باخۡتلَاف الهمم، وانتشار ٱلۡكَثۡرَة الۡمُؤَدِّي إِلَى فَسَاد النظام المتآحد

**٢٠لم فزع النَّاس إِلَى الوسائط فِي ٱلأُمُور مَعَ ماقالوه فِي ٱلۡمَسۡأَلَة الأولى من فَسَاد الشّركَة والشركاء**

وَلَيۡسَ يجب إِذا كَانَت الشّركَة مذمومة أَن يجلو مِنۡهَا الۡإِنۡسَان، لِأَنَّهُ يضۡطَر بالضعف البشري إِلَيۡهَا كَمَا ضربنا لَهُ ٱلۡمثل من ٱلۡحمل الثقيل، أَو كَثۡرَة أَجزَاء الشَّيۡء المنظور فِيهِ.فَإِن تركت الشّركَة فِي مثل هَذِه الأُمُور، وأهملت المعاونة، فَاتَ تَلِك الأمر دفعَة، وَفِي فَوته فَوت مَنَافِع عِظَام، فَكَانَ تَحۡصِيله على مَا يَقع فِيهِ من ٱلۡخلَل أولى من تَركه رَأۡسا وَأَكثر أُمُور ٱلۡبشر لَا يتم إِلَّا بالمعاونة والتشارك لعجزهم عَن التفرد ونقصهم عَن ٱلۡكَمَال

فَلَمَّا كَانَ المتشاركون فِي الۡأَمر أَكثر عددا والآراء أَشد اخۡتِلَافا والأهواء أغمض مدخلًا كَانَت ٱلۡحَاجَات إِلَى الوسائط أصدق والضرورة إِلَيۡهِم أَشد.

والسياسة من هَذِه الۡأُمُور أَعنِي ٱلَّتِي تكۡثر فِيهَا الۡأَهۡوَاء وَيحۡتَاج فِيهَا إِلَى الإشتراك والتعاون فَيحۡتَاج فِيهِ إِلَى من يصدق رَأۡيه وَيسلم من الۡهوى



**٢١-(لم طَال لِسَان الۡإِنۡسَان فِي حَاجَة غَيره إِذا عَنِيَ بِهِ)**

بنية الۡإِنۡسَان وتركيبه ومبدأ خلقه وقه على أَنه ملك فَكل إِنۡسَان لَهُ أَن يكون ملكا بِمَا أعد لَهُ من القوى المساعدة عَلَيۡهِوَجب أَن تحدث لَهُ عزة نفس تَمنعهُ من التذلل.

وقد حط نَفسه عَن رُتۡبَة خلق عَلَيۡهَا وَندب إِلَيۡهَا فقصر لِسَانه واحتقر نَفسه.

فَأَما إِذا تكلم فِي حَاجَة غَيره لم يعرض لَهُ هَذَا ٱلۡعَارِض فَكَأَنَّهُ إِنَّمَا يحِيل بِهَذَا النَّقۡص على من تكلم عَنهُ فَانۡطَلق لِسَانه وَلم تذل نَفسه.

**٢٢-( مَا سَبَب الصيت الَّذِي يتَّفق لبَعۡضهم بعد مَوته)**

مُعظم السَّبَب فِي تَلِك ٱلۡحَسَد ٱلَّذِي يعتري أَكثر النَّاس لَا سِيمَا إِذا كَانَ ٱلۡمَحۡسُود قريب الۡمنزلَة من الۡحَاسِد أَو كَانَ فِي دَرَجَته من النّسَب أَو ٱلۡوِلَايَة قيل: أزهد النَّاس فِي عَالم جِيرَانه لِأَن ٱلۡجوَار وَكَثۡرَة الِاخۡتِلَاط سَبَب جَامع لَهُم يتساوون فِيهِ

فَأَما ٱلۡبعيد ٱلۡأَجۡنَبِيّ فَإِنَّهُ لما لم يجمعه وإياه سَبَب خف عَلَيۡهِ تَسۡلِيم ٱلۡفضل لَهُ وَقل عَارض ٱلۡحَسَد فِيهِ لأجل تَلِك إِذا مَاتَ الۡمَحۡسُود وَانۡقطع السَّبَب ٱلَّذِي بَينه وَبَين الحساد أنشئوا يفضلونه ويسلمون لَهُ مَا منعُوهُ إِيَّاه فِي حَيَاته.

**٢٣-( مَا ٱلۡحَسَد ٱلَّذِي يعترى ٱلۡفَاضِل ٱلۡعَاقِل من نَظِيره)**

وَقد قيل لأرسطاليس بِمَا بَال الحسود أطول النَّاس غماً قَالَ: لِأَنَّهُ يغتم كَمَا يغتم النَّاس ثمَّ يُفْرد بالهم على مَا ينَال النَّاس من الْخَيْر.

إِن الْحَسَد هُوَ غم يلْحق الْإِنْسَان بِسَبَب خير نَالَ مُسْتَحقّه ثمَّ يتبع هَذَا الانفعال الرديء أَفعَال أخر رَدِيئَة فَمِنْهَا أَن يتَمَنَّى زَوَال تِلْكَ الْخَيْر عَن الْمُسْتَحق وَيتبع هَذَا التمني أَن يسْعَى فِيهِ بضروب الْفساد فيتأدى إِلَى شرور كَثِيرَة.

فَمن عرض لَهُ عَارض الْحَسَد الَّذِي حددناه فَهُوَ شرير والشرير لَا يكون فَاضلا

أَن الْفَاضِل قد يغتم بِالْخَيرِ إِذا ناله غير مُسْتَحقّه لِأَنَّهُ يُؤثر أَن تقع الْأَشْيَاء مواقعها وَلِأَن الْخَيْر إِذا حصل عِنْد الشرير اسْتَعْملهُ فِي الشَّرّ إِن كَانَ مِمَّا يسْتَعْمل أَو لم ينْتَفع بِهِ بتة. وَرُبمَا اغتنم الْفَاضِل لنَفسِهِ إِذا لم يصب من الْخَيْر مَا أَصَابَهُ غَيره إِذا كَانَ مُسْتَحقّا مثله وَإِنَّمَا لما اسْم هَذَا حسداً لِأَن غمه لم يكن بِالْخَيرِ الَّذِي أصَاب غَيره بل لِأَنَّهُ حرم مثله. وَإِذا آثر لنَفسِهِ مَا يجده لغيره لم يكن قبيحاً بل يجب لكل أحد إِذا رأى خيرا عِنْد غَيره أَن يتمناه أَيْضا لنَفسِهِ لِأَن هَذَا الْغم لَا يتبعهُ أَن يتَمَنَّى زَوَال الْخَيْر عَن مُسْتَحقّه.

فسموا أَحدهمَا حَاسِدًا وَالْآخر غابطاً

**٢٤-( مَا سَبَب الْجزع من الْمَوْت وَمَا الاسترسال إِلَى الْمَوْت)**

إِن تِلْكَ الْحَيَاة الْمَكْرُوهَة يسْتَحبّ فِيهَا الْمَوْت الَّذِي هِيَ ضِدّه فالاسترسال إِلَى هَذَا الْمَوْت جيد وسَببه ظَاهر. وَكَذَلِكَ إِذا عكست الْحَال فَإِن الْحَيَاة المحبوبة والعيش المضبوط الَّتِي مَعهَا صِحَة الْبدن واعتدال المزاج وَوُجُود الْكِفَايَة من الْوُجُوه الجميلة كُله مَحْبُوب مُؤثر جيد وَمُقَابِله إِذن الَّذِي هُوَ الْمَوْت رديء مَكْرُوه لِأَن الْمَوْت يَنْقَطِع بِهِ استكمال السَّعَادَة وإتمام الْفَضِيلَة ويفوته أمرا عَظِيما كَانَ معرضًا لَهُ. وَهَذَا ضرب من النّظر وَبَاب من الِاعْتِبَار وَضرب آخر وَهُوَ أَن الْبَقَاء بِنَفسِهِ أَمر مُخْتَار لِأَنَّهُ وجود مُتَّصِل والوجود كريم شريف. وضده الْعَدَم رذل خسيس وَالرَّغْبَة فِي الشَّيْء الْكَرِيم وَاجِبَة كَمَا أَن الزّهْد فِي الشَّيْء الخسيس وَاجِب. وَإِذا كَانَت حَيَاة مَا مُنْقَطِعَة لَا محَالة ثمَّ كَانَ ذَلِك يُفْضِي إِلَى حَيَاة أُخْرَى أبدية وَوُجُود سرمدي - صَار هَذَا الْمَوْت غير مَكْرُوه إِلَّا بِقدر مَا يكره من الدَّوَاء المر إِذا أدّى إِلَى الصِّحَّة فَإِن العلاج المؤلم والدواء الكريه مختاران إِذا أديا إِلَى صِحَة طَوِيلَة وسلامة مُتَّصِلَة.

فالإنسان المستبصر الَّذِي يرى أَن أخراه أفضل من دُنْيَاهُ وآجله خير لَهُ من عاجله يسترسل إِلَى الْمَوْت استرساله إِلَى الدَّوَاء الكريه والعلاج المؤلم ليفضي بِهِ إِلَى خير دَائِم

فَأَما من خلا من هَذَا الإعتقاد وَالظَّن الْقوي فَهُوَ يجزع من الْمَوْت لِأَنَّهُ عدم مَا والعدم مهروب مِنْهُ وَهَذَا سَبَب صَحِيح وَعلة ظَاهِرَة. وَهَذَا ضرب آخر من الاسترسال إِلَى الْمَوْت والجزع مِنْهُ وَهُوَ أَن من قوى ظَنّه واستحكمت بصيرته فِي عاقبته ومعاده وَلكنه لم يقدم مَا يعْتَقد أَنه يسْعد بِهِ وَلم يتأهب بأهبته وَلَا استعد لَهُ عدَّة فَهُوَ يكره الْمَوْت ويجزع مِنْهُ وَلَا يسترسل إِلَيْهِ. {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}

**٢٥- سَبَب الْجزع من الْمَوْت والاسترسال إِلَى الْمَوْت وَأَيهمَا يحسن وَفِي** أَي مَوضِع وعَلى أَي حَال.

وَالسَّبَب فِيهِ أَنه لما كَانَت الْحَرَارَة الغريزية سَبَب الْحَيَاة وَسبب الْفَضَائِل التابعة للحياة أَعنِي الذكاء وَالْحَرَكَة والشجاعة وَمَا أشبههَا - كَانَت الْأَبدَان الَّتِي حظها مِنْهَا أَكثر - أفضل. وَالْحكم الصَّحِيح فِي هَذَا أَن الْأَبدَان المعتدلة فِي النحافة وَالسمن والطول وَالْقصر وَسَائِر الكيفيات الْأُخَر -أفضل الْأَبدَان. وَإِذا غلبت الرطوبات عَلَيْهَا أطفأتها وغمرتها وحالت بَينهَا وَبَين أفعالها وعاقتها عَنْهَا

**٢٦-(لم كَانَ الْقصير أَخبث والطويل أهوج.)**

وَذَلِكَ أَن الِاعْتِدَال من الطول وَالْقصر هُوَ الْمَحْمُود وَلَكِن الطول بالتفاوت فِي الْخلق أقرب إِلَى التَّمام وَذَلِكَ لبعد الْأَعْضَاء الرئيسية بَعْضهَا من بعض لَا سِيمَا العضوان اللَّذَان هما أظهر الْأَعْضَاء رياسة أَعنِي الْقلب والدماغ فَإِن هذَيْن يجب أَن يكون بَينهمَا مَسَافَة معتدلة لتتمكن الْحَرَارَة الَّتِي فِي الْقلب من تَعْدِيل برودة الدِّمَاغ وَحفظ اعتداله وَبَقَاء الرّوح النفساني الَّذِي يتهذب فِي بطُون الدِّمَاغ وتتمكن أَيْضا برودة الدِّمَاغ من تَعْدِيل حرارة الْقلب وَحفظ اعتداله عَلَيْهِ. وَهَذَا الِاعْتِدَال إِذا بعد أحد العضوين من الآخر تفَاوت واضطرب نظامه وَفَسَد التَّرْكِيب وفسدت الْأَفْعَال الصادرة عَن الْإِنْسَان ونقصت فضائله وَلَيْسَ يعرض فِي قرب التَّفَاوُت مَا يعرض فِي بعد أَحدهمَا من الآخر.

**٢٧-(لم صَار بعض النَّاس إِذا سُئِلَ عَن عمره نقص فِي الْخَبَر وَآخر يزِيد على عمره فِي الْخَبَر)**

النَّاقِص من مُدَّة عمره وَالزَّائِد فِيهَا

وَرُبمَا فعل الرجل الْوَاحِد ذَلِك بِحَسب زمانين مُخْتَلفين أَو بِحَسب حَالين فِي زمَان وَاحِد.وَسبب هَذَا الْفِعْل محبَّة النَّفس وَذَاكَ أَن الْإِنْسَان يحب أَن يعْتَقد فِيهِ من الْفضل أَكثر مِمَّا هُوَ وَيُحب أَن يعْذر فِي نقص إِن وجد فِيهِ.وَهُوَ إِذا كَانَ حَدثا وَظَهَرت مِنْهُ فَضِيلَة أَو نقيصة نقص من زمَان عمره ليعلم غَيره أَن الْفَضِيلَة حصلت لَهُ فِي زمَان قصير

وَأَيْضًا فَإِن المكتهل وَذَا السن الْكثير التجربة مِمَّن صحب الزَّمَان ولقى الرِّجَال وَتصرف فِي الْعُلُوم مهيب فِي النُّفُوس جليل فِي الصُّدُور موقر فِي الْمجَالِس مستشار فِي النوائب مرجوع إِلَيْهِ فِي الرَّأْي. وَهَذِه حَال مَرْغُوب فِيهَا فَإِذا بلغ الْإِنْسَان من السن مَا يحْتَمل أَن يَدعِي فِيهِ هَذِه الدَّعْوَى أَو فَكل وَاحِد من الرجلَيْن أَو الرجل الْوَاحِد فِي الزمانين أَو الْحَالَتَيْن غَايَته فِي التكذب بِمَا ينقص من عمره التمويه بِالْفَضْلِ وادعاء رُتْبَة لَيست لَهُ.
وَهَذَا شَرّ ظَاهر فمتعاطيه شرير وأفاضل النَّاس لَا يعتريهم هَذَا الشَّرّ لأَنهم لَا يتدنسون بِالْكَذِبِ وَلَا يستكثرون.

**٢٨ـ (لم صَار الْإِنْسَان يحب شهرا بِعَيْنِه وَيَوْما بِعَيْنِه )**

وَكَذَلِكَ أَيَّام الأعياد الَّتِي أطلق للنَّاس فِيهَا الرَّاحَة والزينة يَقُول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (أَيَّام أكل وَشرب وبعال)
وكل قوم يحبونَ الْأَيَّام الَّتِي هِيَ أعيادهم الَّتِي أطلق لَهُم فِيهَا الزِّينَة والمتعة والراحة.

**٢٩ -( حد الظُّلم)**

الظُّلم انحراف الْعدْل.
إِلَّا أَن الْجور يسْتَعْمل فِي الطَّرِيق وَغَيره إِذا عدل فِيهِ عَن السمت وَالظُّلم أخص بِمُقَابلَة الْعدْل الَّذِي يكون فِي الْمُعَامَلَات فالعدل من الِاعْتِدَال وَهُوَ التقسيط بِالسَّوِيَّةِ وَهَذِه السوية من الْمُسَاوَاة بَين الْأَشْيَاء الْكَثِيرَة والمساواة هِيَ الَّتِي تُوجد الْكَثْرَة وتعطيها الْوُجُود وَتحفظ عَلَيْهَا النظام. وبالعدل والمساواة تقع الْمحبَّة بَين النَّاس وتأتلف
وكما أَن إِصَابَة السهْم من الْغَرَض إِنَّمَا هُوَ نقطة مِنْهُ فَأَما الْخَطَأ والعدول عَنْهَا فكثير بِلَا نِهَايَة ـ فَكَذَلِك الْعدْل لما كَانَ كالنقطة بَين الْأُمُور تقسمها بِالسَّوِيَّةِ كَانَت جِهَات الْعُدُول عَنْهُ كَثِيرَة بِلَا نِهَايَة. وعَلى حسب الْقرب والبعد يكون ظُهُور الْقبْح وشناعة الظُّلم.
إِن الظُّلم الَّذِي ذكرنَا حَقِيقَته يجْرِي مجْرى غَيره من سَائِر الْأَفْعَال فَإِن صدر عَن هَيْئَة نفسانية من غير فكر وَلَا روية سمى خلقا وَكَانَ صَاحبه ظلوماً.
فَأَما إِذا ظهر الْفِعْل بعد فكر وروية فَلَيْسَ عَن خلق مذموماً كَانَ أَو مَعْلُوما وَإِذا لم يكن عَن خلق فَكيف يكون عَن خلق.وَإِنَّمَا يسْتَمر الْفَاعِل على فعل مَا بروية مِنْهُ فَتحدث من تِلْكَ الروية الدائمة هَيْئَة تصدر عَنْهَا الْأَفْعَال من بعد بِلَا روية فتسمى تِلْكَ الْهَيْئَة خلقا فَأَما الشَّيْء الصَّادِر عَن هَذِه الْهَيْئَة فَإِنَّهُ إِن كَانَ عملا بَاقِي الْهَيْئَة والأثر سمى صناعَة
الْأَخْلَاق هيئات للنفوس تصدر عَنْهَا أفعالها بِلَا روية وَلَا فكر.

:لَا يزَال النَّاس برخَيا تفاوتوا فَإِذا تساووا هَلَكُوا فَإِنَّهُم لم يذهبوا فِيهِ إِلَى التَّفَاوُت فِي الْعدْل الَّتِي يُسَاوِي بَينهم فِي التعايش وَإِنَّمَا ذهبُوا فِيهِ إِلَى الْأُمُور الَّتِي يتم بهَا التمدن والاجتماع. والتفاوت بالآحاد هَهُنَا هُوَ النظام للْكُلّ. وَقيل إِن الْإِنْسَان مدنِي بالطبع فَإِذا تساوى النَّاس فِي الِاسْتِغْنَاء هلكت المدنية وَبَطل الِاجْتِمَاع وَقد تبين أَن اخْتِلَاف النَّاس فِي الْأَعْمَال وانفراد كل وَاحِد مِنْهُم بِعَمَل هُوَ الَّذِي يحدث نظام الْكل وَيتم المدنية

**٣٠ المشاكلة والموافقة**

المشاكلة والموافقة فَإِن الشكل الْمثل وَهِي مفاعلة مِنْهُ وَلَا فرق بَينهَا وَبَين الْمُمَاثلَة على مَا ذكره اللغويون.أَنا أَظن الْمثل أَعم من الشكل لِأَن شكل مثل وَلَيْسَ كل مثل شكلاً.

فَأما الْمُوَافقَة فَمن الوفق فِي الْمَسْأَلَة التالية لهَذِهِ الْمَسْأَلَة

فَأَما المضارعة: فَهِيَ المشابهة، وَهِي مفاعلة من الضَّرع، وَمِنْه أَصله واشتقاقه.

**٣١-( لم اشتدت عَدَاوَة ذَوي الْأَرْحَام والقربى)**

أَن الِاثْنَيْنِ أَو الْجَمَاعَة من النَّاس إِذا اشْتَركُوا فِي أَمر وجمعهم سَبَب فتساووا فِيهِ مَعَ تساويهم فِي الإنسانية ثمَّ تفرد من بَينهم وَاحِد بفضيلة - حسده نَظِيره أَو غبطه.

وذوو الْأَرْحَام هم جمَاعَة يشتركون فِي نسب وَاحِد وَلَا يرى أحدهم للْآخر فضلا فَإِن انْفَرد وَأَيْضًا فَإِن مَوْضُوع الشّركَة فِي النّسَب هُوَ المؤازرة والمعاونة والتساوي فِي الْأَحْوَال. وَهَذِه حَال منتظرة يتوقعها كل وَاحِد من الآخر فَإِذا أخلف الظَّن كَانَ أَشد احْتِمَالا وأصعب علاجاً وَصَارَ بِمَنْزِلَة الدّين المجحود وَالْحق المغموط فَإِذا اقْتضى ثقل وَإِذا ثقل تنوكر وَإِذا تنوكر ثارت قُوَّة الْغَضَب بِالْجَمِيعِ وَالْغَضَب يزرع الحقد وَيبْعَث على الشرور.

وينضاف إِلَى هَذَا شدَّة الْعِنَايَة والتفقد للأحوال وَهَذَا لَا يكون مَعَ الْبعدَاء وَلَا يُمكن فيهم فتكثر وُجُوه المطالبات بالحقوق وادعاؤها

والجوار أَيْضا سَبَب قوى لِأَنَّهُ شركَة مَا تبْعَث على تفقد الْأَحْوَال وتلقح الْحَسَد

**٣٢- (لم غضب الْإِنْسَان من شَرّ ينْسب إِلَيْهِ وَهُوَ فِيهِ)**

سَبَب ذَلِك محبَّة النَّفس.

مِثَال إِذا ذكر بشر هُوَ فِيهِ كره أَن يفْطن لَهُ وَإِن فطن لَهُ أَن يجبهُ أَو يغتاب بِهِ لِأَنَّهُ يعرف قبح الشَّرّ وَيُحب لنَفسِهِ الَّتِي هِيَ حبيبته أَن تكون بريئة من كل عيب بعيدَة من كل ثلب وذم

فَإِذا رميت بشر لحقه غم أَولا ثمَّ محبَّة الانتقام مِمَّن غمه.

وَالْغَضَب حَقِيقَته حَرَكَة النَّفس للانتقام وَهَذِه الْحَرَكَة تثير دم الْقلب حَتَّى يغلي وَلذَلِك يحد الْغَضَب بِأَنَّهُ غليان دم الْقلب شَهْوَة الانتقام فَأَما غضب الْإِنْسَان من شَرّ سيق إِلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ فِيهِ فبالواجب لِأَنَّهُ قصد بالظلم ليغم.
وَفَائِدَة الْغَضَب وَسبب وجوده فِي الْإِنْسَان هُوَ أَن ينتصر بِهِ من الظَّالِم أَو يمنعهُ ويضعه عَن نَفسه فَإِذا علم الْإِنْسَان أَن قَاصِدا يقصدهُ بالظلم أحب الانتقام مِنْهُ وتحركت نَفسه لذَلِك فَحدث الْغَضَب.

**٣٣- مَا عِلّة حُضُور الْمَذْكُور عِنْد مقطع ذكره وَهُوَ لَا يتَوَقَّع فِيهِ**

وَمن هَذَا الضَّرْب رُؤْيَة الْإِنْسَان بالالتفات من لم يكن يظنّ أَنه يرَاهُ. وَكَذَلِكَ تشبيهك بعض من يلْحقهُ طرفك بمعهود لَك حَتَّى إِذا حدقت نَحوه لم يكن ذَاك ثمَّ إِنَّك لَا تلبث حَتَّى تصادف الْمُشبه بِهِ.
إِن النَّفس عَلامَة بِالذَّاتِ دراكه للأمور بِلَا زمَان وَذَاكَ أَنَّهَا فَوق الطبيعة وَالزَّمَان إِنَّمَا هُوَ تَابع للحركة الطبيعية وَكَأَنَّهُ إِشَارَة إِلَى امتدادها وَلذَلِك اشتق اسْم الْمدَّة مِنْهُ لِأَن الْمدَّة فعلة والامتداد افتعال وَأَصلهَا وَاحِد من الْمَدّ.
وَلما كَانَت النَّفس فَوق الطبيعة وَكَانَت أفعالها فَوق الْحَرَكَة أَعنِي فِي غير زمَان فَإِذن ملاحظتها الْأُمُور لَيست بِسَبَب الْمَاضِي وَلَا الْحَاضِر وَلَا الْمُسْتَقْبل بل الْأَمر عِنْدهَا فِي السوَاء فَمَتَى لم تعقها عوائق الهيولى والهيوليات وحجب الْحس والمحسوسات أدْركْت الْأُمُور وتجلت لَهَا بِلَا زمَان حَتَّى يرْتَفع إِلَى حد التكهن
تعرض لمن يذكر الْإِنْسَان فيحضر الْمَذْكُور عِنْد مقطع ذكره وَلم يكن سَببا لحضوره بل كَانَ الْأَمر بالضد فَإِن قرب حُضُوره أشعر النَّفس حَتَّى أنذرت بِهِ.
وَكَذَلِكَ الْحَال فِي الرُّؤْيَة بالالتفات فَإِن قرب الملتفت إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي حرك النَّفس حَتَّى اسْتعْملت آلَة الالتفاف

**٣٤ مَا الخصائص بَين حقائق الْمعَانِي فِي أَلْفَاظ دائرة بَين أهل الْعقل وَالدّين**

أما الْقُوَّة:
أَنه الشَّيْء الْمُمكن أَن يظْهر فَيصير مَوْجُودا بِالْفِعْلِ
فَهُوَ اعْتِدَال فِي الأعصاب بَين الرُّطُوبَة واليبوسة وَذَلِكَ أَن العصب إِذا أفرط فِي الرُّطُوبَة استرخى عِنْد الْعَمَل فَسمى مستعمله ضَعِيفا وَإِذا أفرط فِي اليبوسة انبتر وَانْقطع أَو خشى عَلَيْهِ ذَلِك وألم عِنْد الْعَمَل فَكَانَ مستعمله أَيْضا ضَعِيفا فَلَيْسَ يُطلق اسْم الْقُوَّة إِلَّا بِالْإِضَافَة وعَلى حسب مَوْضُوع ذِي الْقُوَّة فقد يُقَال: رجل قوى وجمل ضَعِيف كَمَا يُقَال: نملة قَوِيَّة وفيل ضَعِيف.
فَأَما الطَّاقَة فَهِيَ وَفَاء الْقُوَّة بالمحمول عَلَيْهَا

فَأَما الْقُدْرَة فَهِيَ تمكن من إِظْهَار هَذِه الْقُوَّة عِنْد الإِرَادَة
وَأما الِاسْتِطَاعَة فَهِيَ استفعال من الطَّاعَة أَي استدعاؤها
أَنَّك لَا تستدعي طَاعَة شَيْء لَك إِلَّا وَأَنت تستحقها مِنْهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.
اسْتَطَعْت كَذَا وَأَنا أَسْتَطِيع الأمر أَي إِذا استدعيت طَاعَته أجابني.
فَأَما الشجَاعَة فَهِيَ اسْتِعْمَال قُوَّة العصب بِقدر مَا يَنْبَغِي وَفِي الْوَقْت الَّذِي يَنْبَغِي وَفِيمَا يَنْبَغِي وعَلى الْحَال الَّتِي تنبغي.
من جَانب الزِّيَادَة فتسمى تهوراً. وَأما من جَانب النُّقْصَان فتسمى جبنا.
وَأما النجدة فَهِيَ فِي معنى الشجَاعَة
مَأْخُوذَة من الِارْتفَاع وَالرجل النجد كَأَنَّهُ الْمُرْتَفع عَن الضيم الَّذِي علا عَن مرتبَة من يستذل ويمتهن كالنجد من الأَرْض الَّذِي هُوَ ضد الْغَوْر.
وَأما البطولة -وَإِن كَانَت فِي معنى الشجَاعَة- فَإِنَّهَا مُخْتَصَّة بِمَا يظْهر فِي الْغَيْر وَلَا تسْتَعْمل فِي وأخلق بالبطولة أَن تكون عَائِدَة إِلَى معنى الْبطلَان لِأَن صَاحبهَا - أبدا - متعرض لذَلِك من الفرسان
إِن الشجَاعَة رُبمَا أدَّت إِلَى بطلَان الْحَيَاة وَكَانَ الْمَوْت حِينَئِذٍ خيرا جيدا ممدوحاً لما وَقع بِحَسب الشجَاعَة
فَأَما المعونة فَهِيَ إمداد الْقُوَّة بِقُوَّة أُخْرَى من جِنْسهَا خَارِجَة عَنْهَا. والخذلان ترك هَذَا الإِمْدَاد مَعَ التَّمَكُّن مِنْهُ.

وَأما التَّمْكِين فَهُوَ تفعيل من الإِمْكَان والإمكان فِي الشَّيْء هُوَ جَوَاز إِظْهَار مَا فِي قوته إِلَى الْفِعْل وطبيعته بَين الْوَاجِب والممتنع
والمسافة الَّتِي بَين هذَيْن الطَّرفَيْن - أعنى الْوَاجِب والممتنع - هناك مُمكن قريب من الْوَاجِب وممكن بعيد مِنْهُ. وَكَذَلِكَ يُقَال فِي الْمُمكن الْقَرِيب من الْمُمْتَنع والبعيد مِنْهُ فَأَما إِذا كَانَ فِي الْوسط فَهُوَ مُمكن على الإِطْلَاق
فالتمكين هُوَ مصدر مكن تمكيناً
والإمكان مصدر أمكن إمكاناً
والإمكان مصدر أمكن الشَّيْء من ذَاته فَأَما التَّمْكِين فَهُوَ فعل شَيْء آخر بك إِذا جعلك من هَذَا الشَّيْء بِحَيْثُ تخرجه إِلَى الْفِعْل بالإرادة
وَقد يجِيء التَّمْكِين بِمَعْنى آخر وَهُوَ أَن يكون تفعيلاً مشتقاً من الْمَكَان
وَمِنْه تمكن الْفَارِس من السرج وَتمكن الإِنْسَان من مَجْلِسه.
وَأما الرزق فَهُوَ وُصُول حاجات الْحَيّ إِلَيْهِ بِمَا هُوَ حَيّ.وَههُنَا أَشْيَاء
{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}
فَأَما الدولة فَمن قَوْلك دَال الشَّيْء بَين الْقَوْم وتداولوه بَينهم إِذا اعتوروه بالمعاطاة قَالَ الله تَعَالَى: [اي]{كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ} أَي

ليتعاوره الْكل وَلَا يخص قوما دون قوم. وَهِي لَفْظَة مُخْتَصَّة بالأمور الدُّنْيَوِيَّة المحبوبة لَا سِيمَا الْغَلَبَة.
فَأَما التَّوْفِيق والاتفاق والموافقة والوفاق
وَهَذِه الْأَلْفَاظ الْأَرْبَعَة الَّتِي عددناها مُتَقَارِبَة الْمعَانِي وَهِي مُشْتَقَّة من الوفق لَا تقع إِلَّا بَين شَيْئَيْنِ أَو بَين الْأَشْيَاء. وَيُقَال هَذَا وفْق هَذَا أى لفقه وطبقة وملائمه والاتفاق افتعال من الوفق
وَمَا كَانَ من الْأُمُور لَهُ سَبَب طبيعي بعيد أَو قريب إِلَّا أَنه مَجْهُول ثمَّ عرض أَن يكون نَافِعًا لإِنْسَان من غير إِرَادَة وَلَا قصد - سمي بختاً.
وَمَا كَانَ من الْأُمُور لَهُ سَبَب إرادي بعيد أَو قريب إِلَّا أَنه مَجْهُول ثمَّ عرض لَهُ أَن يكون نَافِعًا لإِنْسَان مُوَافقا لغَرَض لَهُ وَإِرَادَة -سمي اتِّفَاقًا.
إِنَّمَا يُسمى مبخوتاً إِذا عرض لَهُ مَرَّات كَثِيرَة
وَأَيْضا إِنَّمَا يُسمى موفقاً إِذا عرض لَهُ مَرَّات كَثِيرَة أَن تقع أَفعَال إرادية لأسباب لَهَا مَجْهُولَة فتتم
فَأَما الْجد فَكَأَنَّهُ اسْم شَامِل لهذين الْمَعْنيين جَمِيعًا لِأَن الْإِنْسَان إِن وفْق وبخت فَهُوَ مجدود وَإِن انْفَرد أَيْضا بِأَحَدِهِمَا فَهُوَ مجدود أَيْضا. (من المجد)
وَأما الْحَظ فَهُوَ الْقسم والنصيب. وَلما كَانَ لكل إِنْسَان نصيب من السَّعَادَة وقسط من الْخَيْر مقسوم لَهُ من الْفلك بِحَسب مولده
فَأَما الْمَحْدُود فَهُوَ الْمَمْنُوع واشتقاقه من الْحَد وَهُوَ الْمَنْع، وَيُقَال للبواب حد اد من هَذَا وَكَأن الْمَحْدُود مَمْنُوع مِمَّا يُصِيب غَيره من الْخَيْر.
والحظى والجدىمنسوبان إِلَى الْجد والحظ
وَأما الْوَلَايَة فاسم مُشْتَرك وتصرفه بِحَسب تصرف اسْم الْمولي أَعنِي أَنه يكون من فَوق وَيكون من أَسْفَل إِلَّا أَن الْحَقِيقَة فيهمَا أَنَّهُمَا حَال توجب اختصاصاً وتحققاً يَدْعُو الْأَعْلَى إِلَى الحنو والشفقة والأسفل إِلَى النَّصِيحَة وَالطَّاعَة.
فَأَما ملك الشَّيْء فَهُوَ التفرد بنفاذ الحكم فِيهِ. وَهَذَا قد يكون بالطبيعة والشريعة وبالاصطلاح:
أما بالطبيعة فَملك الْإِنْسَان لأعضائه وآلاته الطبيعية وحركاته الَّتِي يصرفهَا على إِرَادَته.
وَأما بالشريعة فَمثل ملك الرّقّ بِالسَّبْي لمن خَالف أصُول الشَّرْع.
وَأما بالاصطلاح فَمثل المفاوضات الَّتِي تقع بَين المتعاملين.
فَإِذا كَانَ بِحَسب الشَّرْع وَالْقِيَام بقوانينه وإنفاذ أَحْكَامه وَحمل النَّاس عَلَيْهِ طَوْعًا وَكرها ورغبة وَرَهْبَة ونظراً لَهُم كَافَّة بِلَا هوى وَلَا عصبية - فَهُوَ الْملك الْحَقِيقِيّ الَّذِي يسْتَحق هَذَا الِاسْم

وَإِن لم يكن بِحَسب الشَّرْع وشروطه الَّتِي ذكرنَاهَا فَهُوَ غالبة وَالرجل متغلب وَلَا يجب أَن يُسمى ملكا

**٣٥- (مَا معنى قَول النَّاس هَذَا من الله وَهَذَا بِاللَّه وَهَذَا إِلَى الله وَهَذَا على الله)**

إِن جَمِيع مَا يُطلق على الله -تَعَالَى ذكره- من هَذِه الْمعَانِي وَمَا ينْسب إِلَيْهِ من الْأَفْعَال والأسماء وَالصِّفَات إِنَّمَا هُوَ على الْمجَاز والتسمح وَلَيْسَ يُطَابق شَيْء من حقائق مَا نتعارفه بَيْننَا بِهَذِهِ الْأَلْفَاظ -

ذَلِك أَن

لَفْظَة من لابتداء الْغَايَة

وَلَفْظَة إِلَى لانتهاء الْغَايَة

وَالْبَاء للاستعانة

وَلست أطلق شَيْئا من هَذِه الْحَقَائِق فِي الله - عز وَجل - إِلَّا مجَازًا فَإِنِّي لَا أَقُول إِن لفعله ابْتِدَاء وَلَا نِهَايَة وَلَا لَهُ استعانة بِشَيْء فنطلق عَلَيْهِ الْبَاء أَعنِي أَن يُقَال هَذَا تَدْبِير الله وَلَا تَدْبِير هُنَاكَ وَلَا حَاجَة بِهِ إِلَى هَذَا الْفِعْل وَلَا غَيره وَكَذَلِكَ أَقُول فِي سَائِر الْأَفْعَال المنسوبة إِلَيْهِ

**٣٦-( مَا الإلف الَّذِي يجده الْإِنْسَان لمَكَان يكثر الْقعُود فِيهِ ولشخص يتَقَدَّم الْأنس بِهِ؟)**



الإلف هُوَ تكرر الصُّورَة الْوَاحِدَة على النَّفس أَو على الطبيعة مرَارًا كَثِيرَة. فَأَما النَّفس فَإِنَّمَا تتكرَّر عَلَيْهَا صور الإشياء إِمَّا من الْحس وَإِمَّا الْعقل فَأَما مَا يَأْتِيهَا من الْحس فَإِنَّهَا تخزنه فِي شَيْبه بالخزانة لَهَا أعنى مَوضِع التَّذكر وَتَكون الصُّورَة كالغريبة حِينَئِذٍ فَإِذا تكرر مَرَّات شَيْء وَاحِد وَصُورَة وَاحِدَة زَالَت الغربة وَحدث الأنس

فَأَما مَا تَأْخُذهُ من الْعقل فَإِنَّهَا تركب مِنْهُ قياسات وتنتج مِنْهَا صورا تكون أَيْضا غَرِيبَة ثمَّ بعد التكرر تنقطع لَهَا الأنس إِلَّا أَنه فِي هَذَا الْموضع لَا يُسمى إلفا وَلَكِن علما وملكة وَلِهَذَا يحْتَاج فِي الْعُلُوم إِلَى كَثْرَة الدَّرْس لِأَنَّهُ فِي أول الْأَمر يحصل مِنْهُ الشَّيْء يُسمى حَالا

وَهُوَ كالرسم ثمَّ بعد ذَلِك بالتكرر يصير قنية وملكة وَيحدث الِاتِّحَاد

فَأَما الطبيعة فَلِأَنَّهَا أبدا مقتفية أثر النَّفس ومتشبهة بهَا إِذْ كَانَت كالظل للنَّفس الْحَادِث مِنْهَا فَهِيَ تجرى مجْرَاهَا فِي الْأَشْيَاء الطبيعية وَلذَلِك إِذا عود الْإِنْسَان طبعه شَيْئا حدثت مِنْهُ صُورَة كالطبيعة وَلِهَذَا قيل: الْعَادة طبع ثَان.

وَإِذا تصفحت الْأُمُور الَّتِي تعتاد فَتَصِير طبيعة وَجدتهَا كَثِيرَة وَاضِحَة أبين وَأظْهر من الإلف الَّذِي فِي النَّفس كمن يعود نَفسه الفصد وَالْبَوْل وَالْبرَاز وَغَيرهَا فِي أَوْقَات بِعَينهَا وَكَذَلِكَ الهضم فِي الْأكل وَالشرب وَسَائِر مَا تشْتَبه

أفعالها إِلَى الطبيعة.

**٣٧-(مَا سَبَب محبَّة النَّاس لمن قل رزؤه )**

وَلعلَّة مَا هجر النَّاس زِيَارَة مَقَابِر الْمُلُوك وَالْخُلَفَاء ولهجوا بزيارة قُبُور أَصْحَاب الْبَتّ والخلقان وَأهل الضعْف والمسكنة.

ذَلِك لِأَن الْإِنْسَان بِنَفسِهِ النامية يُنَاسب النَّبَات

وبنفسه المتحركة بالإرادة يُنَاسب الْبَهَائِم

وبنفسه الناطقة يُنَاسب الْمَلَائِكَة فَهُوَ إِنَّمَا فضل وَشرف بِهَذِهِ الأخِيرَة.

**٣٨-(مَسْأَلَة لم صَار بعض النَّاس يولع بالتبذير مَعَ علمه بِسوء عاقبته)**

هَذَا أَنْت قَلِيل الْملك كثير الرزق وَكم من كثير الْملك قَلِيل الرزق

**٣٩-(لم يكن النَّاس لهجاً بطي مَا يَأْتِيهِ وكتمان مَا يَفْعَله وَيكرهُ أَن يطلع على شَيْء من أمره)**

(اسْتَعِينُوا على أُمُوركُم بِالْكِتْمَانِ فَإِن كل ذِي نعْمَة مَحْسُود) .

**٤٠-( لم سمج مدح الْإِنْسَان لنَفسِهِ وَحسن مدح غَيره لَهُ)**

الْمَدْح تَزْكِيَة للنَّفس وَشَهَادَة لَهَا بالفضائل وَلما كَانَ الْإِنْسَان يحب نَفسه رأى محاسنها وخفى عَلَيْهِ مقابحها بل رأى لَهَا من الْحسن مَا لَيْسَ فِيهَا فقبح مِنْهُ الشَّهَادَة بِمَا لَا يقبل مِنْهُ وَلَا يرى لَهُ.

فَأَما غَيره فلأجل غربته مِنْهُ وخلوه من آفَة الْعِشْق صَارَت شَهَادَته مَقْبُولَة ومدحه مسموعاً.

لِأَن أحدا لَا يبلغ فِي محبته غَيره دَرَجَة محبته نَفسه.فَأَما مَا يجده الممدوح من المادح فَهُوَ حلاوة الْإِنْصَاف وتأدية الْحق وَسَمَاع الْكَلَام الطّيب أَي المحبوب الْمُوَافق للإرادة.

**٤١- (مَا سَبَب ذمّ النَّاس الْبُخْل مَعَ غَلَبَة الْبُخْل عَلَيْهِم؟)**

الْإِنْسَان فِي أَكثر الأمر يذم هَذَا الْعَارِض للنَّفس من الْبُخْل وَلَا يعْتَرف أَنه مَوْجُود فِيهِ إِلَّا إِذا كَانَ منصفاً نَفسه عَارِفًا بِمَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا

وَأما سَبَب مدحهم الْجُود فَلِأَن الْجُود فِي نَفسه أَمر حسن مَحْبُوب

وَهُوَ فِي النَّفس كالصحة فِي الْبدن فَالنَّاس يؤثرونه ويمدحونه وجد لَهُم أم لم يُوجد.

هَل الْجُود وَالْبخل طبيعيان أم مكسوبان فَإِن الْأَخْلَاق بأجمعها لَيست طبيعية وَلَو كَانَت كَذَلِك لما عالجناها وَلَا أمرنَا بإصلاحها وَلَا طمعنا فِي نقلهَا وإزالتها إِذا كَانَت قبيحة

وَإِن لم تكن طبيعية فَإِنَّهَا بِسوء الْعَادة أَو بحسنها تصير قريبَة من الطبيعة فِي صعوبة العلاج وَإِزَالَة الصُّورَة من النَّفس ولسنا نسميها خلقا إِلَّا بعد أَن

تصير هَيْئَة للنَّفس يصدر أبدا عَنْهَا فعل وَاحِد بِلَا روية فَأَما قبل ذَلِك فَلَا تسمى خلقا وَلَا يُقَال فَلَا بخيل وَلَا جواد إِلَّا إِذا كَانَ ذَلِك دأبه.
أما الْبَخِيل واللئيم فقد فرقنا بَينهمَا فِيمَا تقدم من أَن اللؤم أَعم من الْبُخْل لِأَن كل لئيم بخيل وَلَيْسَ كل بخيل لئيماً واللؤم لَا يخْتَص بِالْمَالِ والأعراض حسب بل يكون فِي النّسَب والهمة وَالْبخل خَاص بِالْأَخْذِ والإعطاء

**٤٢- ( ذمّ النَّاس الْبُخْل ومدحهم الْجُود مَا سَبَب اجْتِمَاعهم على استشناع الْغدر واستحسان الْوَفَاء مَعَ غَلَبَة الْغدر وَقلة الْوَفَاء)**

سَبَب استِحْسَان النَّاس الْوَفَاء حسنه فِي الْعقل وَذَلِكَ أَن النَّاس لما كَانُوا مدنيين بالطبع اضطروا إِلَى أُمُور يتعاقدون على لُزُومهَا لتصير بالمعاونة أسباباً لتَمام أغراض أخر.
الْغدر فَإِن كَانَ الْأَمر شريفاً كَرِيمًا عَام النَّفْع استشنع الْغدر فِيهِ وَاسْتحسن الْوَفَاء وبالضد.

**٤٣-( مبادىء الْعَادَات مَا مبدأ الْعَادَات الْمُخْتَلفَة من هَذِه الْأُمَم المتباعدة)**

فَإِن الْعَادة مُشْتَقَّة من عَاد يعود واعتاد يعْتَاد فَكيف فزع النَّاس إِلَى أوائلها وجروا عَلَيْهَا

**٤٤-(لم يرجع الْإِنْسَان بَعْدَمَا شاخ وخرف وكهلاً ثمَّ شَابًّا غريراً ثمَّ غُلَاما** صَبيا ثمَّ طفْلا كَمَنْشَأ وعلام يدل هَذَا النّظم وَإِلَى أَي شَيْء يُشِير هَذَا الحكم؟)

غَايَة النشوء وَالْحَرَكَة إِنَّمَا هِيَ عِنْد مُنْتَهى الشَّبَاب ثمَّ حِينَئِذٍ يقف وَذَلِكَ زمَان التكهل ثمَّ ينحط وَذَلِكَ زمَان الشيخوخة
وَهَذِه سَبِيل كل حَرَكَة قهرية فِي أَنَّهَا تبتدىء بتزيد ثمَّ تَنْتَهِي إِلَى غَايَة ثمَّ تقف وَقْفَة ثمَّ تنحط. وَلما كَانَ مزاج الْإِنْسَان وكل مركب من الطبائع المتضادة إِنَّمَا كَانَ بِجَامِع جمعهَا وقاهر قهرها حَتَّى ألفها مَعَ تضادها ونفور بَعْضهَا من بعض - صَارَت حركتها قهرية وَمن شَأْن الْحَرَكَة القهرية مَا ذكرت من أمرهَا إِذا لم يتبعهَا القاهر أبدا بقهر بعد قهر.

**٤٥-(مَا الَّذِي يجده الْإِنْسَان فِي تَشْبِيه الشَّيْء بالشَّيْء)**

الَّذِي يجده الْإِنْسَان من ذَلِك هُوَ السرُور بِصدق التخيل

**٤٦-مَسْأَلَة فِي الرُّؤْيَا مَا السَّبَب فِي صِحَة بعض الرُّؤْيَا وَفَسَاد بَعْضهَا)**

وَلم لم تصح الرؤى كلهَا أَو لم لم تفسد كلهَا؟
قد صَحَّ وَثَبت من المباحث الفلسفية أَن النَّفس أَعلَى من الزَّمَان وَأَن أفعالها غير مُتَعَلقَة بِشَيْء من الزَّمَان وَلَا محتاجة إِلَيْهِ إِذْ الزَّمَان تَابع للحركة وَالْحَرَكَة خَاصَّة بالطبيعة وَإِذا كَانَ ذَلِك كَذَلِك فالأشياء كلهَا حَاضِرَة فِي النَّفس سَوَاء الْمَاضِي والمستقبل مِنْهَا فَهِيَ ترَاهَا بِعَين وَاحِدَة وَالنَّوْم إِنَّمَا هُوَ

تَعْطِيل النَّفس بعض آلاتها إجماماً لَهَا -أَعنِي بالآلات الْحَواس -وَهِي إِذا عطلت هَذِه الْحَواس بقيت لَهَا أَفعَال أخر ذاتية خَاصَّة بهَا من الْحَرَكَة الَّتِي تسمى رُؤْيَة وجولاناً نفسانياًوَهَذِه الْحَرَكَة الَّتِي لَهَا فِي ذَاتهَا تكون لَهَا بِحَسب حَالين:

إِمَّا إلهياً وَهُوَ نظرها فِي أفقها الأَعْلَى وكما أَنَّهَا إِذا كَانَت مستيقظة ترى بحاسة الْعين الشَّيْء مرّة رُؤْيَة جلية وَمرَّة رُؤْيَة خُفْيَة بِحَسب الْقُوَّة الباصرة من الحدة والكلال وبحسب الشَّيْء المنظور إِلَيْهِ فِي اعْتِدَال الْمسَافَة وبحسب الْأَشْيَاء الحائلة بَينهَا وَبَينه من الرقة والكثافة.

كَذَلِك حَالهَا إِذْ كَانَت نَائِمَة أَي غير مستعملة آلَة الْحس إِنَّمَا ترى من الشَّيْء مَا يحصل من الرَّسْم الأول - أَعنِي الْجِنْس العالي الشَّامِل للأشياء

فَأَما الْقسم الآخر الَّذِي لَهَا بِحَسب نظرها الأدون من أفقها الأَسْفَل فَإِنَّهَا تتصفح الْأَشْيَاء المخزونة عِنْدهَا من الصُّور الحسية الَّتِي إِنَّمَا استقتها من المبصرات والمسموعاتبالحواس وَهِي منثورة لَا نظام لَهَا وَلَا فِيهَا إنذار بِشَيْء وَرُبمَا ركبت هَذِه الصُّور تركيباً عبثياً كَمَا يَفْعَله الساهي أَو العابث من أَفعَال لَا يقْصد بهَا غَرضا

وَهَذِه الرؤى لَا تتأول وَإِنَّمَا هِيَ الأضغاث الَّتِي سَمِعت بهَا.

**<u>٤٧ -( مَا الرُّؤْيَا فقد جلّ الْخطب فِيهَا وَهِي جُزْء من أَجزَاء النُّبُوَّة)</u>**

وَهَذِه الرُّؤْيَة الَّتِي تسمى تذكراً فِي الْيَقَظَة هِيَ بِعَينهَا تسمى فِي النّوم رُؤْيا وَلَكِن هُنَاكَ حَال أُخْرَى زَائِدَة على حَال الْيَقَظَة لِأَن قوى النَّفس عِنْد تَعْطِيل الْحَواستتوفر على الرُّؤْيَة فترى أَيْضا الْأَشْيَاء الْآتِيَة فِي الزَّمَان الْمُسْتَقْبل إِمَّا رُؤْيَة جلية وَإِمَّا رُؤْيَة خَفِيفَة كالرسم.

لِأَن الرُّؤْيَة والروية والرؤيا -وَإِن اخْتلفت بالحركات - فَهِيَ متفقة بالحروف وَكَذَلِكَ إِذا قلت: رأى فلَان وارتأى وروى فَهَذِهِ صُورَة الْأَسْمَاء المشتقة

وَكَذَلِكَ الْحَال فِي أبْصر واستبصر وَفِي الْبَصَر والبصيرة.

لما كَانَ بالحس: نظر وَلما كَانَ بِالْعقلِ: نظر

كيفَ يكون بعض الْمَنَام صَادِقا وَبَعضه كَاذِبًا وَبَعضه إنذاراً وَبَعضه أحلاماً وَبَعضه أضغاثاً

**<u>٤٨ -( مَا السَّبَب فِي تصافي شَخْصَيْن لَا تشابه بَينهمَا فِي الصُّورَة وَلَا تشاكل عِنْدهمَا فِي الْخلقَة)</u>**

مَا الْخلاف وَالِاخْتِلَاف وَمَا الإلف والائتلاف

مِنْهَا أَن التصافي قد يَمْتَد وَقد يَنْقَطِع فَفِيمَا يَمْتَد مَا يبلغ آخر الدَّهْر وَفِيمَا يَنْقَطِع مَا لَا يثبت إِلَّا شهرا أَو أقل من شهر.

وَرُبمَا سرت الْعَدَاوَة فِي الْأَوْلَاد كَأَنَّهَا بعض الإِرْث وَرُبمَا زَادَت على مَا كَانَت بَين الْآبَاء
يُوجِبهَا اتِّفَاق النفسين إِذا كَانَ بَينهمَا مُنَاسبَة ومشاكلة
فأحد أَسبَاب الْمَوَدَّة العرضية الْعَادة والإلف وَالثَّانِي الأمر النافع أَو المظنون بِهِ النَّفْع وَالثَّالِث اللَّذَّة وَالرَّابِع الأمل وَالْخَامِس الصناعات والأغراض وَالسَّادِس الْمذَاهب والآراء وَالسَّابِع العصبيات. ثمَّ طول مكث أحد هَذِه الْأَسْبَاب وقصره عِلّة طول المودات وقصرها. وَمِثَال النافع مودات الأتباع أَو الخدم وأربابهم وَأَصْحَاب الشّركة والتجارات وطلاب الأرباح والمكاسب وَمِثَال اللذيذ مَوَدَّة الرجل وَالْمَرْأَة على أَن هُنَاكَ أَيْضا مَوَدَّة النافع ومودة الآمل فَهُوَ لذَلِك قوى وثيق ومودة المتعاشقين المتعاشرين على الْمَأْكُول والمشروب والمركوب وَمَا أشبه ذَلِك. وَأما مِثَال الرَّجَاء والأمل فكثير وَلَعَلَّ مَوَدَّة الْوَالِدين للْوَلَد فِيهَا شَيْء من هَذَا الضَّرْب لِأَنَّهُ مَتى زَالَ الأمل وَقَوي الْيَأْس انتفيا من الْوَلَد وزالت الْمَوَدَّة وَحدث البغض.
فَأَما مَوَدَّة الْوَلَد فالنفع لَا غير ثمَّ يصير مَعَ ذَلِك أَيْضا إلفاً
وَهَذِه الْأَقْسَام محصورة تَحت قوى النَّفس الْبَهِيمَة والغضبية والناطقة.
فَمَا كَانَ مِنْهَا عَن نِسْبَة ومشاكله بَين النَّفس النامية والبهيمة كَانَ مِنْهُ أَسبَاب الْمَوَدَّة للذيذ أَو النافع.
وَمَا كَانَ مِنْهَا بِسَبَب مشاكلة بَين النَّفس الغضبية كَانَ مِنْهُ أَسبَاب الْمَوَدَّة للغلبة كالاجتماع للصَّيْد وَالْحَرب وَسَائِر العصبيات الَّتِي تكون فِيهَا قُوَّة الْغَضَب.
وَمَا كَانَ مِنْهَا عَن نِسْبَة ومشاكلة فِي النَّفس الناطقة كَانَ مِنْهُ الْمَوَدَّة الَّتِي للدّين والآراء.

<u>**٤٩ـ مَا الْعلم؟ وَمَا حَده وطبيعته؟**</u>

هُوَ معرفَة الشَّيْء على مَا هُوَ عَلَيْه
وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ اعْتِقَاد الشَّيْء على مَا هُوَ بِهِ.
وَقَالَ قَائِلُونَ: هُوَ إِثْبَات الشَّيْء على مَا هُوَ بِهِ.
إِن الإعتقاد افتعال من العقد يُقَال: عقد واعتقد
القَوْل الرَّابِع أَعنِي فِي قَوْله حد الْعلم إِدْرَاك الشَّيْء على مَا وَيَنْبَغِي أَن تعلم أَن الْغَرَض فِي حد الشَّيْء هُوَ تَحْصِيل ذَاته
إِن الطَّوِيل العريض العميق هُوَ الْجِسْم أَو ذُو الأبعاد الثَّلَاثَة هُوَ الْجِسْم.

<u>**٥٠ـ لم إِذا أبْصر الْإِنْسَان صُورَة حَسَنَة أَو سمع نغمَة رخيمة قَالَ:**</u> **وَالله مَا رَأَيْت** هَذَا قطّ وَلَا سَمِعت مثل هَذَا قطّ وَلَا سَمِعت مثل هَذَا قطّ وَقد علم أَنه سمع أطيب من ذَاك وَأبْصر أحسن من ذَاك.)

لِأَن شَيْئا لَا يماثل شَيْئا بِالْإِطْلَاق وَلَا يُقَال فِي شَيْء: هَذَا مثل هَذَا إِلَّا بتقييد فَيكون مثله فِي جوهره أَو كميته أَو كيفيته أَو غير ذَلِك من سَائِر المقولات وَقديماثله فِي اثْنَتَيْنِ مِنْهَا وَأكْثر فَأَما فِي جَمِيعهَا فمحال

**٥١-(مَسْأَلَة مَا سَبَب اسْتِحْسَان الصُّورَة الْحَسَنَة وَمَا هَذَا الولوع الظَّاهِر**
وَالنَّظَر والعشق الْوَاقِع من الْقلب والصبابة المتيمة للنَّفس)
والفكر الطارد للنوم والخيال الماثل للْإنْسَان أهذه كلهَا من آثَار
الطبيعة أم هِيَ من عوارض النَّفس أم هِيَ من دواعي الْعقل أم من سِهَام
الرّوح أم هِيَ خَالِيَة من الْعِلَل جَارِيَة على الهذر! وَهل يجوز أَن يُوجد مثل
هَذِه الْأُمُور الْغَالِبَة وَالْأَحْوَال المؤثرة على وَجه الْعَبَث وَطَرِيق البطل.
أما سَبَب الِاسْتِحْسَان لصورة الْإِنْسَان فكمال فِي الْأَعْضَاء وتناسب بَين
الْأَجْزَاء مَقْبُول عِنْد النَّفس.
الكيفيات فتعمل الطبيعة مِنْهَا مَا يُمكن ويتأتى فتجيء الصُّورَة غير مَقْبُولَة
عِنْد النَّفس لِأَنَّهَا لَا تطابق مَا عِنْدهَا من الْكَمَال.
ثمَّ إِن شَاءَ من شَأْن النَّفس إِذا رَأَتْ صُورَة حَسَنَة متناسبة الْأَعْضَاء فِي
الهيئات والمقادير والألوان وَسَائِر الْأَحْوَال مَقْبُولَة عِنْدهَا مُوَافقَة لما أعطتها
الطبيعة اشتاقت إِلَى الِاتِّحَاد بهَا فنزعتها من الْمَادَّة واستثبتها فِي ذَاتهَا
وَصَارَت إِيَّاهَا كَمَا تفعل فِي المعقولات.
الْهوى فَإِذا حضر الْهوى غَابَ الْعقل وَحَيْثُ يغيب الْعقل يغيب الْخَيْر كُله
فالإنسان - أبدا - أَسِير فِي يَد الْهوى والهوى يرِيه مَا يقبح جميلاً وَالْخَطَأ
صَوَابا.

**٥٢- مَا الْعلَّة فِي حب العاجلة**
{كلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَة}
وَالنَّفس مولعة بحب العاجل
فَإِذا كَانَ حب العاجلة طباعاً ومبذوراًفِي الطينة ومصوغاً فِي الصِّيغَة
فَكيف يُسْتَطَاع نَفْيه ومزايلته
العاجلة إِنَّمَا يومأ بهَا إِلَى الْحَواس وتوابعها من اللَّذَّات فِي المآكل والمشارب
والاستفراغات والاستراحات.وَالَّتِي تخْتَص بِهَذِهِ الْأَشْيَاء من الْحَواس هِيَ
النَّفس البهيمية.ثمَّ يَنْبَغِي أَن تعلم أَن هَذِه النَّفس هِيَ مَعنا من أول النشوء
وَمَعَ الْولادَة فقد ألفناها إلفاً قَوِيا مَعَ الزَّمَان الْمُتَّصِل الطَّوِيل فَلذَلِك كَانَت
قوتها أظهر وغلبتها أَشد وَصَارَ الحكم لَهَا.

إِن طبيعة النَّفس البهيمية الانقياد للنَّفس الناطقة وَالْوُقُوف عِنْد أمرهَا. وَلَوْلَا أَن ذَلِك فِي جلبتها وسوسها وَهُوَ قبُول التَّأْدِيب وَأَن تصدر أفعالها الْخَاصَّة بهَا بِحَسب مَا يأمرها بِهِ الْعقل

**٥٣ -(مَا السَّبَب فِي قتل الْإِنْسَان نَفسه عِنْد إخفاق يتوالى عَلَيْهِ وفقر يحوج إِلَيْهِ)**

أَمَامه ويستهلك حصافته ويذهله عَن روح مألوفة وَنَفس معشوقة وحياة عزيزة وَمَا الَّذِي يُوهِمهُ من الْعَدَم حَتَّى يسلبه من قَبْضَة الوجدان

الْإِنْسَان مركب من ثَلَاث قوى نفسانية وَهُوَ كالواقف بَينهَا تجذبه هَذِه مرّة وَهَذِه مرّة بِحَسب قُوَّة إِحْدَاهَا على الْأُخْرَى يمِيل بِفِعْلِهِ فَرُبمَا غلبت عَلَيْهِ الْقُوَّة الغضبية فَإِذا انصبغ بهَا وَمَا بِفِعْلِهَا ظَهرت قوته كلهَا كَأَنَّهَا غضب وخفيت الْقوى الْأُخْرَى حَتَّى كَأَنَّهَا لم تُوجد لَهُ وَكَذَلِكَ إِذا هَاجَتْ بِهِ الْقُوَّة الشهوية خفيت آثَار الْقوى الْأُخَر. وأحصف مَا يكون الْإِنْسَان وَأَحْسَنه حَالا إِذا غلبت عَلَيْهِ الْقُوَّة الناطقة فَإِن هَذِه الْقُوَّة هِيَ المميزة الْعَاقِلَة الَّتِي ترَتّب الْقوى الْأُخْرَى حَتَّى تظهر أفعالها بِحَسب مَا تحده وترسمه.

أَن يهيج بالإنسان بعض تِلْكَ الْقوى مِنْهُ عِنْد التواء أَمر عَلَيْهِ أَو انسداد بَاب دون مطلب لَهُ فَيظْهر مِنْهُ فعل لَا توجبه روية وَلَا يقتضيه تَمْيِيز لخلفاء أثر الْقُوَّة الناطقة واستيلاء الْقُوَّة الْأُخْرَى.



غير مصغية إِلَى نصيح وَلَا قَابِلَة أَمر سديد حَتَّى إِذا أَفَقت من تِلْكَ السكرة الَّتِي غلبت عَلَيْك فِي تِلْكَ الْحَال -عجبت من الْأَفْعَال الَّتِي ظَهرت مِنْك وأنكرت نَفسك فِيهَا وَكَأن غَيْرك

**٥٤ رجل اجتاز الجسر قتل نَفسه فالقاتل هُوَ الْمَقْتُول أم الْقَاتِل غير الْمَقْتُول**

للْإنْسَان قوى كَثِيرَة وَهُوَ مركب مِنْهَا وَأَنه يمِيل فِي وَقت مَا نَحْو قُوَّة وَفِي وَقت آخر نَحْو غَيرهَا وَأَن أفعاله

إِن السَّبَب فِي ذَلِك أَن الْبَارِي تَعَالَى لما علم أَن هَذَا الْمركب من نفس وجسد يحْتَاج إِلَى أَشْيَاء تُقِيمهُ من غذَاء وَغَيره وَأَنه لَا قوام لِحَيَاتِهِ إِلَّا بمادة وَكَانَ لَا يصل إِلَى تِلْكَ الْمَادَّة إِلَّا بحركة وسعي وَكَانَت العائقات والمانعات عَنْهَا كَثِيرَة أعطَاهُ قُوَّة يصل بهَا إِلَى حاجاته وَيدْفَع بهَا أضدادها عَن نَفسه ليتم لَهُ الْبَقَاء

هَذِه الْقُوَّة أَن تهيج وتثور فِي أَوْقَات بِأَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي وَفِي أَوْقَات تقصر عَمَّا يَنْبَغِي.

إن كَانَ قَاتل نَفسه إِنَّمَا ظهر مِنْهُ هَذَا الْفِعْل بِحَسب الْقُوَّة الغضبية فَهُوَ شُجَاع والشجاع مَحْمُود وَنحن نعلم أَن هَذَا الْفَاعِل بِنَفسِهِ هَذَا الْفِعْل مَذْمُوم فَكيف حَاله وَأَيْنَ موضِع الشجَاعَة الممدوح

وَذَلِكَ أَن الْمَرْء الَّذِي يخَاف أمرا فِيهِ من فقر أَو شدَّة وَلَا يرحب ذرعاً بِهِ وَلَا يستقبله بعزيمة قَوِيَّة وَمِنْه تَامَّة -جبان ضَعِيف فيحمله هَذَا الْجُبْن على أَن يَقُول:أستريح من تحمل هَذِه الْمَشَقَّة الَّتِي ترد عَليّ

**٥٥-كَيفَ صَار يخلص فِي وَقت مُعْتَاد النِّفَاق؟**

ينافق من نَشأ على الإِخْلَاص ويريب من ألف النزاهة وعَلى هَذَا كَيفَ يكون يخون من اسْتمرّ على الأَمَانَة

وَكَذَلِكَ نجد الْكَذَّاب يصدق أَحْيَانًا لغير أرب مجتلب والصادق يكذب لغير معنى محدد

وَذَلِكَ ان النِّفَاق والنصح وَسَائِر مَا ذكره فِي هَذِه الْمَسْأَلَة هُوَ من آثَار النَّفس الناطقة. وَمن الْبَين أَن هَذِه النَّفس لَهَا أَيْضا مرض وَصِحَّة فصحتها اعتدالها فِي قواها الْبَاقِيَة ومرضها خُرُوجهَا عَن الِاعْتِدَال. وَهِي إِن خرجت عَن اعتدالها فِي وَقت فَغير مُنكر لَهَا أَن تعود إِلَيْهِ فِي وَقت آخر

أَن فعلهَا صَوَاب لأمر ترَاهُ فَرُبمَا كَانَ ذَلِك الظَّن غَلطا وَخطأ فَأَما أَن تفعل ذَلِك لغير أرب وفير قصد إِلَى مَا ترَاهُ خطأ فمحال.



**٥٦-( قَول بعض الْعلمَاء إِن الله عَم الْخلق بالصنع وَلم يعمهم بالاصطناع)**

قَول الْمَسِيح

: (لَا تهمتوا وَلَا تَقولُوا مَا نَأْكُل وَمَا نشرب وَمَا نلبس فَإِن قدر الْحَاجة قد عَم بِهِ جَمِيع الْخلق وَإِنَّمَا الْتَمسُونَ الفضول فِيهَا وَاعْلَمُوا أَن لَيْسَ كل من دَعَا إِلَى الله يرى وَجه الله بل من أكمل رضوانه بِالْعَمَل الصَّالح)

**٥٧-مَا(سر النَّفس الشَّرِيفَة فِي إِيثَار النَّظَافَة ومحبة الطَّهَارَة)**

سر الصُّوفِي إِذا صفا لم يحْتَمل الجفا.

: إِذا صفا السِّرّ انْتَفَى الشَّرّ

**٥٨-(مَا عِلّة افتتان بعض النَّاس فِي الْعُلُوم على سهولة من نَفسه وانقياد من هَوَاهُ)**

واستجابة من طبعه وَآخر لَا يسْتَقلّ بفن مَعَ كد الْقلب ودوام السهر ومواصلة الْمجَالِس وَطول المدارسة. وَلَعَلَّ الأول كَانَ من المحاويح وَالثَّانِي من المياسير

بعض الْعُلُوم يحْتَاج فِيهِ إِلَى تخيل قوى والتخيل إِنَّمَا يكون باعتدال مَا فِي مزاج بطن الدِّمَاغ الْمُقدم.

وَبَعض الْعُلُوم يحْتَاج فِيهِ إِلَى فكر صَحِيح والفكر الصَّحِيح إِنَّمَا يتم باعتدال مَا فِي مزاج بطن الدِّمَاغ الْأَوْسَط.
وَبَعض الْعُلُوم يحْتَاج فِيهِ إِلَى حفظ صَحِيح جيد وَالْحِفْظ الْجيد يحصل باعتدال مَا فِي مزاج بطن
قل من يجْتَمع لَهُ الْفَضَائِل الثَّلَاث من صدق التخيل وَصِحَّة الْفِكر وجودة الْحِفْظ.وَإِذا غلب أحد هَذِه كَانَت سهولة الْعلم الْمُوَافق لذَلِك المزاج على الْإِنْسَان بِحَسب مَا ركب فِيهِ وَأعْطى الْقُدْرَة عَلَيْهِ.
وشغلاً باللعب والعبث فَهَذَا هُوَ المذموم المضيع حَظه الَّذِي خسر نَفسه قَالَ الله تَعَالَى فِيهِ [اي] {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ}
فَمن قَالَ من النَّاس إِنَّهَا مواهب أَو أَقسَام أَو طبائع أَو تأثيرات علويَّة أَو غير ذَلِك فَهُوَ صَادِق

**٥٩- مَا الفراسة وماذا يُرَاد بهَا وَهل هِيَ صَحِيحَة أم هِيَ تصح فِي بعض الْأَوْقَات دون بعض أَو لشخص دون شخص؟**

فَإِن المُرَاد من هَذِه الصِّنَاعَة تقدمة الْمعرفَة بأخلاق النَّاس ليلابسهم على بَصِيرَة
هَل تصح أبدا أم فِي وَقت دون وَقت ولشخص دون شخص فَإِنِّي أَقُول إِنَّهَا تصح أبدا فِي كل وَقت وَلكُل أحد
وَإِنَّمَا صَار الْإِنْسَان وَحده لَا يظْهر مِنْهُ الْخلق الطبيعي ظهوراً تَاما كظهوره من هَذِه الْحَيَوَانَات لِأَنَّهُ مُمَيّز ذُو روية فَهُوَ يستر على نَفسه مَذْمُوم الْأَخْلَاق بتعاطي ضِدّه وتكلف فعل الْمَحْمُود وَإِظْهَار مَا لَيْسَ فِي طبعه وَلَا فِي جبلته فَيحْتَاج حِينَئِذٍ إِلَى أَن يسْتَدلّ على خلقه الطبيعي بِأحد شَيْئَيْنِ:إِمَّا بطول الصُّحْبَة وتفقد الْأَحْوَال وَإِمَّا بالاستدلال الَّذِي نَحن فِي ذكره والاستعانة بصناعة الفراسة على مَا يسيره من أخلاقه الطبيعية.
أَكثر وَأَصْحَاب الفراسة يعتمدون الْعين خَاصَّة ويزعمون أَنَّهَا بَاب الْقلب فيتصيدون من شكلها ولونها وأحوال أخر لَهَا كَثِيرَة

**٦٠- مَا سر قَوْلهم: الْإِنْسَان حَرِيص على مَا منع؟**

وَإِنَّمَا حرص على مَا منع لِأَنَّهُ إِنَّمَا يطْلب مَا لَيْسَ عِنْده وَلَا هُوَ مَوْجُود لَهُ فِي خزانته فيتحرك لاقتنائه وتحصيله بِحَسب ميله إِلَى أحد الْأَمريْن أَعنِي الْمَعْقُول أَو المحسوس فَإِذا حصله سكن من هَذِه الْجِهَة وَعلم أَنه قد ادخره وَمَتى رَجَعَ إِلَيْهِ وجده إِن كَانَ مِمَّا يبْقى بِالثَّبَاتِ وتشوف إِلَى جِهَة أُخْرَى وَلَا يزَال كَذَلِك إِلَى أَن يعلم أَن الجزئيات لَا نِهَايَة لَهَا وَمَا مَا لَا نِهَايَة لَهُ فَلَا طمع فِي تَحْصِيله وَلَا فَائِدَة فِي النزاع إِلَيْهِ وَلَا وَجه لطلبه سَوَاء كَانَ فِي الْمَعْلُوم أَو فِي المحسوس وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَن يقْصد من المعلومات إِلَى الْأَنْوَاع

والذوات الدائمة السرمدية الْمَوْجُودَة أبدا بِحَالَة وَاحِدَة وَيكون ذَلِك برد الْأَشْخَاص الَّتِي بِلَا نِهَايَة إِلَى الْوحدَة الَّتِي يُمكن أَن تتأحد بهَا النَّفس وَمن المحسوسات المقتناة إِلَى ضرورات الْبدن ومقيماته دون الاستكثار مِنْهَا فَإِن اسْتِيعَاب جَمِيعهَا غير مُمكن لِأَنَّهَا أُمُور لَا نِهَايَة لَهَا.فَإِذن كل مَا فضل عَن الْحَاجة وَقدر الْكِفَايَة فَهُوَ مَادَّة الأحزان والهموم والأمراض وضروب المكاره.

والغلط فِي هَذَا الْبَاب كثير وَسبب ذَلِك طمع الْإِنْسَان فِي الْغنى من مَعْدن الْفقر لِأَن الْفقر هُوَ الْحَاجة والغنى هُوَ الِاسْتِقْلَال اعني أَلا يحْتَاج بتة وَلذَلِك قيل أَنه الله -تَعَالَى- غَنِي لِأَنَّهُ غير مُحْتَاج بتة فَأَما من كثرت قنياته فَإِنَّهُ ستكثر حاجاته بِحَسب كَثْرَة قنياته وعَلى قدر منازعته إِلَى الاستكثار تكْثر وُجُوه فقره وَقد تبين ذَلِك فِي شرائع الْأَنْبِيَاء وأخلاق الْحُكَمَاء.فَأَما الشَّيْء الرخيص الْمَوْجُود كثيرا فَإِنَّمَا رغب عَنهُ لِأَنَّهُ مَعْلُوم أَنه إِذْ التمس وجد وَأما الغالي فَإِنَّمَا يقدر عَلَيْهِ فِي الأحيان ويصيبه الْوَاحِد بعد الْوَاحِد فَكل إِنْسَان يتَمَنَّى أَن يكون ذَلِك الْوَاحِد ليحصل لَهُ مَا لم يحصل لغيره

**٦١-( مَا سَبَب نظر الْإِنْسَان فِي العواقب وَمَا مثاره مِنْهَا وَمَا آثاره فِيهَا؟)**

أما نظر الْإِنْسَان فِي العواقب فَيكون لأمرين.

أَحدهمَا تطلعه إِلَى الْأُمُور الكائنة وشوقه إِلَى الْوُقُوف على الْأَمر الْكَائِن قبل حُدُوثه لما تقدم فِيهِ من الْكَلَام فِي الْمَسْأَلَة الأولى.

وَالْآخر لأخذ الأهبة لَهُ إِن كَانَ مِمَّا ينفع فِيهِ ذَلِك

وَلِهَذَا الْمَعْنى اشتاق الْإِنْسَان إِلَى الفأل والزجر إِذا عدم جَمِيع وُجُوه الِاسْتِدْلَال من أشكال الْفلك وحركات النُّجُوم وَرُبمَا عدل إِلَى المتكهن وَصدق بِكَثِير من الظنون الْبَاطِلَة.

أَن المحتفل إِنَّمَا يتوقى مَا لَا بُد أَن يُصِيبهُ فَهُوَ يجْتَهد أَن يخرج من حكم الْقَضَاء أَعنِي مُوجبَات الأقدار بتوسط حركات الْفلك فَيصير اجْتِهَاده فِي الْخُرُوج مِنْهُ سَببا لحصوله فِيهِ ووقوعه عَلَيْهِ.

وَإِذا حذرت من الْأُمُور مُقَدرا وهربت مِنْهُ فنحوه تتَوَجَّه فَأَما المسترسل إِلَى ذَلِك الراضي بِهِ فَإِنَّهُ موقى مِمَّا هُوَ غير مقضي وَلَا هُوَ بمصيب لَهُ وَإِن لم يتوقه حذرا أموراً لَا تكون وخائف مَا لَيْسَ منجيه من الأقدار.

**٦٢- مَا يُصِيب الْإِنْسَان من قرينه فِي خَيره وشره؟**

ينَال القرين من قرينه الِاقْتِدَاء والتشبه وكما أَن كل متجاورين من الْأَشْيَاء الطبيعية لَا بُد أَن يُؤثر أَحدهمَا فِي الآخر فَكَذَلِك حَال النَّفس وَذَاكَ أَن الطبيعة

ٱلحَار والبارد وَالرّطب واليابس وَلأَجل تَأْثِير المجاور فِي مجاوره حدثت
الأمْرَاض فِي ٱلبدن وبسببه عولج بالأدويةوَلما كَانَت النَّفس الَّتِي فِينَا
هيولانية صَار الشَّرّ لَهَا طباعاً وَٱلخَيْر تكلفاً وتعلما فاحتجنا ـ معاشر ٱلبشر
لِأَن نتعب بِٱلخَير حَتَّى تستفيده ونقتنيه ثمَّ لَيْسَ يكفينا تَحْصِيل صورته حَتَّى
نألفه ونتعوده ونكرر زَمَانا طَويلا،ٱلحَالة الَّتِي حصلت لنا مِنْهُ على أَنْفُسنَا
لتصير ملكة وسحية بعد أَن كَانَت حَالا.
فَأَما الشَّرّ فلسنا نحتاج إِلَى تَعب بِهِ وتحصيله بل يَكْفِي فِيهِ أَن نخلي النَّفس
وسومها ونتركها على طبيعتها فَإِنَّهَا تَخْلُو من ٱلخَيْر والخلو من ٱلخَيْر هُوَ
الشَّرّ
لَيْسَ الشَّرّ بِشَيْء لَهُ عين قَائِمَة بل هُوَ عدم الْخَيْر
أَن النَّفس تتشبه بِالنَّفس ٱلمُقَارنَة لَهَا وتقتدي بهَا وَالشَّر أسْرع إِلَيْهَا من ٱلخَيْر
وَهُوَ أَن النَّفس الَّتِي فِينَا هِيَ هيولانية وأعني بِهَذَا القَوْلأَنَّهَا قَابِلَة للصور
من الْعقل فالمعقولات إِنَّمَا تصير معقولات لنا إِذا ثبتَتْ صورها فِي النَّفس
عَن ٱلمَرْء لَا تسْأَل وَأبْصر قرينَة فَإِن القرين بالمقارن مقتد

**٦٣ـ مَا وَجه تسخيف من أَطَالَ ذيله وسحبه وَكبر عمَامَته**

أَن من خَالف عادات النَّاس فِي زيهم ومذاهبهم وَتفرد من بَينهم بِمَا يباينهم
فَإِن كَانَ غَايَته من هَذِه الْأَشْيَاء أَن يشهر نَفسه وينبه على مَوْضِعهفَلَيْسَ
يعدو أَن يُوهم بهَا أمرا لَا حَقِيقَة لَهُ ويطلب حَالا لَا يسْتَحقّهَا
فَإِذن هُوَ كَاذِب فعلا ومزور بَاطِلا وَمَا تعاطِي ذَلِك إِلَّا ليغر سليما ويخدع
مسترسلاً. وَهَذَا مَذْهَب ٱلمُحْتَال الَّذِي يتحرز مِنْهُ ويتباعد عَنهُ.

**٦٤ـ( مَا ملتمس النَّفس فِي هَذَا ٱلعَالم)**

فَإِن الْإِنْسَان قد أشكل عَلَيْهِ الْإِنْسَان
قصد فَاعل ٱلجَمِيل شَيْئاآخير الْجَمِيل أَعنِي أَنه لَا يجب أَن يقْصد بِهِ نيل
مَنْفَعَة وَلَا طلب ذكر وَلَا بُلُوغ رئاسة وَلَا شَيْئا من الْأَشْيَاء غير ذَات ٱلجَمِيل
لِأَنَّهُ جميل.

**٦٥ـ( مَا سَبَب استشعار ٱلخَوْف بِلَا مخيف وَمَا وَجه تجلد ٱلخَائِف)**

سَبَب ذَلِك توقع مَكْرُوه حَادث فَإِن كَانَ السَّبَب صَحِيحا قَويا وَالدَّلِيل وَاضحا
جلياً كَانَ الْخَوْف فِي مَوْضِعه.ثمَّ بِحَسب ذَلِك الْمَكْرُوه يحسن الصَّبْر ويحمد
احْتِمَال الْأَذَى ٱلعَارض مِنْهُ وَتظهر من الْإِنْسَان أَمَارَات الشجَاعَة أَو ٱلجُبْن.
وَأثبت النَّاسنَجْدًا وجأشاً وَأَحْسَنهمْ بَصِيرَة وروية لَا بُد أَن يضطرب عِنْد
نزُول ٱلمَكْرُوه ٱلحَادِث بِهِ الطارىء عَلَيْهِ لَا سِيمَا إِن كَانَ هائلاً فَإِن
أرسطاليس يَقُول: من لم يجزع من هيج ٱلبَحْر وَهُوَ رَاكِبه وَمن الْأَشْيَاء
الهائلة الَّتِي فَوق طَاقَة الْإِنْسَان فَهُوَ مَجْنُون

فَإِن كَانَ الْمَكْرُوه والمتوقع مِمَّا يُطيق الإِنْسَان دَفعه أَو تخفيفه فَذهب عَلَيْهِ أمره وَاسْتولى عَلَيْهِ الْجزع وَلم يتماسك لَهُ - فَهُوَ جبان جزوع مَذْمُوم من هَذِه الْجِهَة.ودواؤه التدرب بِاحْتِمَال الشدائد وملاقاتهاوالتصبر عَلَيْهَا وتوطين النَّفس لَهَا قبل حدوثها لِئَلَّا ترد عَلَيْهِ وَهُوَ غافل عَنْهَا غير مستعد لَهَا.

## **٦٦- مَا سَبَب غضب الإِنْسَان وضجره**

أَن الْغَضَب إِنَّمَا يثور بِهِ دم الْقلب لمحبة الانتقام وَهَذَا الانتقام إِذا لم يكن كَمَا يَنْبَغِي وعَلى من يَنْبَغِي وعَلى مِقْدَار مَا يَنْبَغِي فَهُوَ مَذْمُوم

## **٦٧-( لم صَار من كَانَ صَغِير الرَّأْس خَفِيف الدِّمَاغ؟)**

وَكَذَلِكَ فِي الْقصير وَلم يعتقدوا الْعقل والحصافة فِيمَن كَانَ طَوِيل رداءة الْكَيْفِيَّة والكمية كَانَ صَاحبه معتوهاً

## **٦٨-( لم سهل الْمَوْت على المعذب مَعَ علمه)**

أَن الْعَدَم لَا حَيَاة مَعَه وَلَيْسَ بموجود فِيهِ وَأَن الأذى -وَإِن اشْتَدَّ فَإِنَّهُ مقرون بِالْحَيَاةِ العزيزة هَذَا وَقد علم أَيْضا أَن الْمَوْجُود أشرف من الْمَعْدُوم وانه لَا شرف للمعدوم فَمَا الَّذِي يسهل عَلَيْهِ الْعَدَم وَمَا الشَّيْء المنتصب لِقَلْبِهِ وَهل هَذَا الِاخْتِيَار مِنْهُ بعقل أَو فَسَاد مزاج.

الإِنْسَان إِذا مَاتَ فَلَيْسَ يعْدم رَأْسا بل إِنَّمَا تبطل عَنهُ أَعْرَاض وتعدم عَنهُ كيفيات فَأَما جواهره فَإِنَّهَا غير مَعْدُومَة وَلَا يجوز على الْجَوْهَر الْعَدَم بتة لما تبين فِي أصُول الفلسفة من أَن الْجَوْهَر لَا ضد لَهُ

فالجوهر لَا يقبل الْعَدَم من حَيْثُ جَوْهَروأجزاء الإِنْسَان إِذا مَاتَ تنْحَل إِلَى أُصُولهَاأَعنِي العناصر الْأَرْبَعَة وَذَلِكَ بِأَن يَسْتَحِيل إِلَيْهَا. وَأما جوهره الَّذِي هُوَ النَّفس الناطقة فقد تبين أَنه أَحَق بالجوهرية من عناصره الْأَرْبَعَة فَهُوَ إِذن دَائِم الْبَقَاء أَيْضا.

إِن الْحَيَاة لَيست بعزيزة إِلَّا إِذا كَانَت جَيِّدَة وأعني بِالْحَيَاةِ الجيدة مَا سلمت من الْآفَات والمكاره وصدرت بهَا الْأَفْعَال تَامَّة جَيِّدَة وَلم يلْحق الإِنْسَان فِيهَا مَا يكرههُ من الذل السديد والضيم الْعَظِيم والمصائب فِي الْأَهْل وَالْولد.

لِهَذَا أَن الإِنْسَان لَو خير بَين هَذِه الْحَيَاة الرَّدِيئَة وَبَين الْمَوْت الْجيد أَعنِي أَن يقتل فِي الْجِهَاد الَّذِي يذب بِهِ عَن حريمه وَيمْتَنع بِهِ عَن المذلة والمكاره الَّتِي وصفناها لوَجَبَ بِحكم الْعقل والشريعة أَن يخْتَار الْمَوْت وَالْقَتْل فِي مجاهدة من يسومه ذَلِك.

## **٦٩- (لم ذَمّ الإِنْسَان مَا لم ينله وهجن مَا لم يحزه)**

عادى النَّاس مَا جهلوا

وَقد عادى النَّاس مَا جهلوا كَمَا قيل فَلم عادوه وَلم لم يحبوه ويطلبوه ويفقهوه حَتَّى تَزُول الْعَدَاوَة وَيحصل الشّرف ويكمل الْجمال ويحق القَوْل بالثناء وَيصدق الْخَبَر عَن الْحق.

فَمَتَى حصل لَهُ علم أحبه وَإِذا لم يحصل لَهُ أبغضه.

وَلَعَلَّ الْمَانِع لَهُ من ذَلِك كَرَاهَة التذلل لمن يتَعَلَّم مِنْهُ بعد حُصُول الْعِزّ لَهُ فِي نوع آخر وَبَين طَائِفَة أُخْرَى.

أحسست من نَفسِي بغضاً لهَذَا الْعلم وَلأَهله فَأَحْبَبْت أَن أتعاطاه لأحبهُ وَلِئَلَّا أبْغض علما فأعادي اهله. وَهَذَا هُوَ الانقياد للحق

**٧٠ لم (كَانَ الْإِنْسَان إِذا أَرَادَ أَن يتَّخذ عدَّة أَعدَاء فِي سَاعَة وَاحِدَة)**

إِنَّمَا صَار الْإِنْسَان قَادِرًا على اتِّخَاذ الْأَعْدَاء بِسُرْعَة وَغير قَادر على اتِّخَاذ الأصدقاء إِلَّا فِي زمَان طَوِيل وبغرامة كَثِيرَة - لِأَن هَذَا فتق وَذَاكَ رتق وَهَذَا هدم وَذَاكَ بِنَاء

**٧١-( مَا الَّذِي حرك الزديق والدهري على الْخَيْر وإيثار الْجَمِيل)**

وَأَدَاء الْأَمَانَة ومواصلة الْبر وَرَحْمَة المبتلي ومعونة الصَّرِيخ ومغثة الملتجئ إِلَيْهِ والشاكي بَين يَدَيْهِ هَذَا وَهُوَ لَا يَرْجُو ثَوابًا وَلَا يَنْتَظر مآباً وَلَا يخَاف حسابا. أَتَرَى الْبَاعِث على هَذِه الْأَخْلَاق الشَّرِيفَة والخصال المحمودة رغبته فِي الشُّكْر وتبرؤه من القرف وخوفه من السَّيْف قد يفعل هَذِه فِي الْأَوْقَات لَا يظنّ بِهِ التوقي وَلَا اجتلاب الشُّكْر وَهل فِي هَذِه الْأُمُور مَا يُشِير إِلَى تَوْحِيد الله تبَارك وَتَعَالَى.

للْإنْسَان -بِمَا هُوَ إِنْسَان- أَفعَال وهمم وسجايا وشيم قبل وُرُود الشَّرْع وَله بداية فِي رَأْيه وأوائل فِي عقله لَا يحْتَاج فِيهَا إِلَى الشَّرْع بل إِنَّمَا تَأتيه الشَّرِيعَة بتأكيد مَا عِنْده والتنبيه عَلَيْهِ فتثير مَا هُوَ كامن فِيهِ وموجود فِي فطرته قد أَخذه الله -تَعَالَى- وسطره فِيهِ من مبدأ الْخلق فَكل من لَهُ غريزة من الْعقل وَنَصِيب من الإنسانية فَفِيهِ حَرَكَة إِلَى الْفَضَائِل وشوق إِلَى المحاسن لَا لشَيْء آخر أَكثر من الْفَضَائِل والمحاسن الَّتِي يقتضيها الْعقل وتوجبها الإنسانية وَإِن اقْترن بذلك فِي بعض الْأَوْقَات محبَّة الشُّكْر وَطلب السمعة والتماس أُمُور أخر. وَلَوْلَا أَن محبَّة الشُّكْر وَمَا يتبعهُ -أَيْضا- جميل وفضيلة لما رغب فِيهِ

وَلَوْلَا أَن الْخَالِق -تَعَالَى- وَاحِد لما تَسَاوَت هَذِه الْحَال بِالنَّاسِ وَلَا اسْتَجَابَ أحد لمن دَعَا إِلَيْهَا وحض عَلَيْهَا إِذا لم يجد فِي نَفسه شَاهدا لَهَا ومصدقاً بهَا. ولعمري إِذا هَذَا أوضح دَلِيل على تَوْحِيد الله تَعَالَى ذكره وتقدس اسْمه.

**٧٢-(مَا الَّذِي قَامَ فِي نفس بعض النَّاس حَتَّى صَار ضحكة)**

أَن لكل مزاج خلقا يتبعهُ وَالنَّفس تصدر أفعالها بِحَسب تِلْكَ الطبيعة والمزاج

وَأَن الْإِنْسَان مَتى استرسل للطبيعة وانقاد لهواه وَلم يسْتَعْمل الْقُوَّة الموْهُوبَة لَهُ فِي رفع ذَلِك وتأديبه نَفسه بهَا - كَانَ فِي مسلاخ بَهِيمَة

**٧٣-(مَا السَّبَب فِي محبَّة الْإِنْسَان الرِّئَاسَة)**

قد تبين أَن فِي النَّاس ثَلَاث قوى وَهِي: الناطقة والبهيمية والغضبية.
فَهُوَ بالناطقة مِنْهَا يَتَحَرَّك نَحْو الشَّهَوَات الَّتِي يتَنَاوَل بهَا اللَّذَّات الْبَدَنِيَّة كلهَا.
وبالغضبية مِنْهَا يَتَحَرَّك إِلَى طلب الرئاسات ويشتاق إِلَى أَنْوَاع الكرامات وَتعرض لَهُ الحمية والأنفة ويلتمس الْعِزّ والمراتب الجليلة الْعَالِيَة وَيظْهر أَثَرهَا من الْقلب.
أَعنِي المميزة الْعَاقِلَة الَّتِي تسمى الْقُوَّة الإلهية فَإِن هَذِه الْقُوَّة يَنْبَغِي أَن تستولي وَتَكون لَهَا الرِّئَاسَة على الْبَاقِيَة.فمحبة الْإِنْسَان للرئاسة أَمر طبيعي لَهُ وَلَكِن يجب أَن تكون مقومة لتَكون فِي موضعهَا وكما يَنْبَغِي
يعرض لبَعْضهم فِي نهوض قُوَّة النَّفس الغضبية فيهم إِلَى نيل الرئاسات والكرامات -أَن يركب هَذِه الْأَهْوَال فِيهَا. ومدار الْأَمر على الْعقل الَّذِي هُوَ الرئيس عَلَيْهَا

**٧٤مَا السَّبَب فِي تشريف فِي سلف لَهُ أَب أَو جد مَنْظُورإِلَيْهِ**

كَيفَ يسري الشّرف من الْمُتَقَدّم فِي الْمُتَأَخر وَلَا يسري من الْمُتَأَخر فِي الْمُتَقَدّم
إِن الأب عِلّة الْوَلَد وعرفه يسري فِيهِ لِأَنَّهُ معلوله وَلِأَنَّهُ مكون من مزاجه وبزره فَهُوَ من أجل ذَلِك كجزء مِنْهُ أَو كنسخة لَهُ فَغير مستنكر أَن يظْهر أثرالعلّة فِيهِ أَو يُنْتَظر مِنْهُ نزوع الْعرق إِلَيْهِ.فَأَما عكس هَذِه الْقَضِيَّة وَهُوَ أَن يصير الْمَعْلُول سَببا لِلْعِلَّةِ حَتَّى يرجع مقلوباً فشيء يأباه الْعقل وترده البديهة

**٧٥-(وَلم إِذا كَانَ أَبُو الْإِنْسَان مَذْكُورا بِمَا أسلفنا نَعته وَبِغَيْرِهِ من الدّين والورع)**

س-وَجب أَن يكون وَلَده وَولد وَلَده يسْحَبُونَ الذيل ويختالون فِي العطاف ويزدرون النَّاس ويرون من أنفسهم أَنهم قد خولوا الْملك ويعتقدون أَن خدمتك لَهُم فَرِيضَة ونجاتك بهم مُتَعَلقَة مَا هَذِه الفِتْنَةوالآفة وَمَا أَصْلهَا

فَإِن الْمَعْلُول إِنَّمَا يشرف بشرف علته فَإِن كَانَ ذَلِك الشّرف دينا وعلته الْهَيْئَة حصل للعرق الساري من الافتخار بِهِ مَا لَا يحصل لغيره وَلَكِن إِلَى حد مَقْرُوض وَمِقْدَار مَعْلُوم فَأَما الغلو فِيهِ إِلَى أَن يعْتَقد أَنهم كَمَا حكيت عَنْهُم فَهُوَ كَسَائِر الإفراطات

فلعمري لقد كَانَ ذَلِك فِي كل أمة وكل زمَان. وَلم تزل النجابة على الْأَثر سَارِيَة فِي الْأَوْلَاد ومتوقعة فِي الْعُرُوق حَتَّى إِن الْملك يبْقى فِي الْبَيْت الْوَاحِد زَمَانا طَويلا يرتضى النَّاس إِلَّا بهم وَلَا ينقادون إِلَّا لَهُم. وَذَلِكَ فِي جَمِيع الْأُمَم من الْفرس وَالروم والهند وَسَائِر أَجنَاس النَّاس.
كَذَلِك الْعرق اللَّئِيم وَالْأَصْل الْفَاسِد يهجي بِهِ الْأَوْلَاد وينتظر مِنْهُم النُّزُوع إِلَيْهِفيذمون بِهِ وتتجنب ناحيتهم لَهُ.
الدّين لَه حكم آخر كَمَا قد علمت من علو الرُّتْبَة وَشرف الْمنزلَة وَإِن لم تكن النُّبُوَّة نَفسهَا سَارِيَة فِي الْعرق وَلَا هِيَ متوقعة فِيمَا يتبع النُّبُوَّة من التَّعْظِيم والتشريف ونجوع النَّاس لَهَا بالطبع والتماس أهل بَيتهَا مرتبَة الْإِمَامَة وَالتَّمْلِيك لأمر خَارج عَن حكم الْعَادة وَلَا سِيمَا إِن كَانَ هُنَاكَ شريطة الْفَضِيلَة مَوْجُودَة والاستقلال حَاضرا فَإِن الْعُدُول حِينَئِذٍ عَمَّن كَانَ بِهَذِهِ الصّفة ظلم وتعد. ٨١-(مَسْأَلَة هَل يجوز أَن تكون الْحِكْمَة فِي تَسَاوِي النَّاس من جِهَة
ارْتِفَاع الشّرف دون تباينهم)
وَإِنَّمَا عنيت تَسَاوِي النَّاس من جِهَة السَّبَب فَإِن التطاول والتسلط والازدراء قد فَشَا بِهَذَا النّسَب. وَالْحكمَة تأبى وضع مَا يكون فَسَادًا أَو ذَرِيعَة إِلَى فَسَاد وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأ دِمَاؤُهُمْ وَيسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُم وهم يَد على من سواهُم):
وَمَا أحسن قَول الإِمَام على عَلَيْهِ السَّلَام: قيمَة كل امرىء مَا يحسن.
من شريان النجابة فِي الْعرق لأجل أَن الطمع يقوى فِيمَن كَانَت لَهُ سَابِقَة فِي فَضِيلَة ان تظهر فِيهِ ايضاً وَلَا سِيمَا إِن كَانَت علته قريبَة مِنْهُ.
وَكَيف يتساوى النَّاس فِي ارْتِفَاع الشّرف وَلَو تساووا فِيهِ لما كَانَ شرف وَلَا ارْتِفَاع وَإِلَّا فعلى مَاذَا يرْتَفع ويشرف والمنازل مُتَسَاوِيَة وَلَكِن النَّاس يتساوون فِي الإنسانية الَّتِي تعمهم وَفِي أَشْيَاء تتبع الإنسانية من الْأَحْكَام والأوضاع ويتفاوتون فِي أُمُور أخر يزِيد بهَا بَعْضهم على بعض.

**٧٦-( مَا التطير والفأل وَلم أولع كثير من النَّاس بهما)**

عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِذْ يَقُول: لَا عدوى وَلَا طيرة. وَقد قيل فِي مَكَان آخر: كَانَ يحب الفأل الْحسن.
الْإِنْسَان متطلع إِلَى الْوُقُوف على كائنات الْأُمُور ومستقبلاتها ومغيباتها فَهُوَ بالطبع يتشوفها ويروم مَعْرفَتهَا على قدر استطاعته وبحسب طاقته فَرُبمَا أمكنه التَّوَصُّل إِلَى بَعْضهَا بطبيعة مُوَافقَة فِي رأى صائب وحدس صَادِق وتكهن فِي الْأُمُورلَا يكَاد يخطىء فِيهَا فَهُوَ من أَعلَى دَرَجَة فِي هَذَا الْبَاب وأوثق سَبَب فِيهِ فَرُبمَا تعدد فِي بَعْضهَا ذَلِكفيروم التَّوَصُّل إِلَيْهِ بدلائل

النُّجُوم وحركات الأشْخَاص العلوية وتأثيرها فِي الْعَالم السفلي وَيصدق حكمه أَو يكذب بِحَسب قوته
وَلَيْسَ من شَأْن النَّفس أَن تعْمل عملا بِغَيْر دَاع إِلَيْهِ وَلَا سَبَب لَهُ فَيصير كالعبث فَإِذا سنح لَهُ أَمْرَان وَلم يرجح أَحدهمَا على الآخر طلب لنَفسِهِ حجَّة فِي ركُوب أَحدهمَا دون الآخر فيستريح حِينَئِذٍ إِلَى الْأَسْبَاب الضعيفة ويتمحل الْعِلَل الْبَعِيدَة بِقدر مَا يتَرَجَّح أحد الرأيين المتكافئين فِي نَفسه على الآخر حَتَّى يصل إِلَيْهِ وَيَأْخُذ بِهِ.
والتطير من الأمزجة المتنافرة والخلق الْمَكْرُوهَة كالبوم والهامة وَالْعَقْرَب الفأر وَمَا أشبههَا. وَبَعض من الْأَصْوَات الْمُنكرَة كنهيق الْحمير وأصوات الْحَدِيد وَمَا أشبههاوَبَعضهَا من الأسْمَاء والألقاب إِذا اشتقوا لَهَا مَا يُوَافِقهَا فِي بعض الْحُرُوف أَو فِي كلهَا كاسم الْغُرَاب من الغربة والبان من الْبَين والنوى -نوى التَّمْر - من الْبعد. وَبَعضهَا من العاهات كالأعور من الْيَمين والمقعد من الرجل. وَبَعضهَا من الحركات والجهات كالسانح والبارح والمعوج والمائل.
شَيْء يُوَافق بعض شَيْء أحيانا وباطله كثير.

**٧٧-مَا السَّبَب فِي كَرَاهَة بَعضهم إِذا قيل لَهُ: يَا شيخ على التوقير والإجلال وَهُوَ لَا يكون شَيخا**

وَ الشَّأْن فِي شَاب يشيخ تَعْظِيمًا فيكره وشاب لَا يشيخ فيتكلف.
إِنَّمَا يخْتَلف النَّاس فِي ذَلِك باخْتلَاف نظرهم لأَنْفُسِهِمْ وبحسب ملاحظتهم أغراض مخاطبيهم.
وَذَلِكَ انه رُبمَا أحب الْإِنْسَان ان تظهر فضيلته فِي ابْتِدَاء زَمَانه واستقبال عمره فَإِذا قيل لَهُ يَا شيخ ظن أَنه قد سلب تِلْكَ الْفَضِيلَة وَألْحق بِمن حصل تِلْكَ الْفَضِيلَة فِي الزَّمَان الطَّوِيل والتجربة الْكَثِيرَة. وَرُبمَا كره ذَلِك أَيْضا لأرب لَهُ فِي الشَّبَاب وميل إِلَى اللّعب والهوى اللَّذين يستقبحان من الشَّيْخ فَإِذا قيل لَهُ يَا شيخ رأى هَذَا اللقب كالمانع لَهُ والزاجر وَأَن مُخَاطبَة يُنْتَظر مِنْهُ مَا يُنْتَظر من الْمَشَايِخ
وَرُبمَا نظر الْإِنْسَان إِلَى مرتبَة حصلت لَهُ من الْوَقار الَّذِي لَا يحصل إِلَّا من الْمَشَايِخ وَهُوَ فِي سنّ الشَّبَاب فيسر بالإكرام وَسُرْعَة بُلُوغه مبلغ المحنكين وَأهل الدربة.

**٧٨-(مَا عِلّة الْإِنْسَان فِي سلوته إِذا كَانَت محنته عَامَّة لَهُ وَلغيره)**

وَمَا عِلّة جزعه واستكثاره وتحسره إِذا خصته المساءة وَلم تعده الْمُصِيبَة

الجزع والأسف من عوارض النَّفس وَهِي تجْري مجْرى سَائِر الْعَوَارِض الأُخَر كالغضب والشهوة والغيرة وَالرَّحْمَة وَالْقَسْوَة وَسَائِر الأَخْلَاق الَّتِي يحمد الإِنْسَان فِيهَا إِذا عرضت لَهُ كَمَا يَنْبَغِي

فالحزن الَّذِي يعرض كَمَا يَنْبَغِي هُوَ مَا كَانَ فِي مُصِيبَة لحقت الإِنْسَان لذنب اجترحه أَو لعمل فرط فِيهِ أَو كَانَ لَهُ فِيهِ سَبَب اخْتِيَارِي أَو لسوء اتِّفَاق خصّه دون غَيره وَهُوَ يجهل سَببه فَإِن هَذَا الْحزن فالإنسان مَعْذُور بِهِ.

فَأَما مَا كَانَ ضَرُورِيًّا أَو وَاجِبا فَلَيْسَ يحزن لَهُ عَاقل

وَأما الْمَوْت الطبيعي فَلَيْسَ يحزن لَهُ أحد لِأَنَّهُ ضَرُورِيّ وَإِنَّمَا يجزع الإِنْسَان مِنْهُ إِذا ورد فِي غير الْوَقْت الَّذِي كَانَ ينتظره أَو بِغَيْر الْحَالة المحتسبة وَلذَلِك يجزع الْوَالِد على موت وَلَده لِأَن الَّذِي احتسبه أَن يَمُوت هُوَ قبله فَأَما الْوَلَد فيقل جزعه على وَالِده لِأَن الْأَمر كَمَا كَانَ فِي حسابه إِلَّا أَنه تقدم مثلا بِزَمَان يسير أَو كَمَا يَنْبَغِي. فَأَما مَا يعرض للْمُسَافِر ولراكب الْبَحْر أَن يخص دون من يَصْحَبهُ بمحنة فِي مَاله أَو جِسْمه فَإِنَّمَا حزنه لسوء الِاتِّفَاق ورداءة البخت فَإِن هَذَا النَّوْع مَجْهُول السَّبَب وَلذَلِك يعْذر فِيهِ أدنى عذر.

**٧٩-(مَا الْفَضِيلَة السارية فِي الْأَجْنَاس الْمُخْتَلفَة كالعرب وَالروم وَالْفرس )**

أَن لكل أمة مزاجاً هُوَ الْغَالِب عَلَيْهِم وَإِن كَانَ يُوجد فِي النَّادِر وَفِي الفرط مَا هُوَ مُخَالف لذَلِك المزاج وَذَلِكَ لأجل التربة والهواء والأغذية والمزاج التَّابِع لذَلِك وَلما كرهته أَنْت أَيْضا من آثَار الْفلك وَالْكَوَاكِب فَإِن ذَلِك الْعَالم هُوَ الْمُؤثر فِي هَذَا الْعَالم بِالْجُمْلَةِ.

**٨٠-( مَا عِلّة كَثْرَة غم من كَانَ أَعقل وَقلة غم من كل أَجْهَل)**

كالسودان والحمران فَإنَّك تَجِد السودَان أطرب وأجهل والحمران أَعقل وَأكْثر فكراً وَأَشد اهتماماً.

الْغم يعرض من جِهَتَيْنِ مختلفتين: إِحْدَاهمَا جِهَة الْفِكر وَالْأُخْرَى جِهَة المزاج.

وَإِذا كَانَ سَبَب الْغم مَعْلُوما فمقابله الَّذِي هُوَ سَبَب الْفَرح وَالسُّرُور مَعْلُوم أَيْضا.

فالعاقل لأجل جولان فكره يكثر انْتِظَاره مكاره الدُّنْيَا وَمن لَا يكثر فكره وَلَا يَنْتَظر مكروها فَلَا سَبَب لَهُ يغمه.

وَهَذَا المزاج لَيْسَ يخلوا أَن يكون طارئاً أَو حَادِثا أَو طبيعياً فِي أصل الخلقَة فَإِن كَانَ حَادِثا فَهُوَ مرض وَيَنْبَغِي أَن يعالج إِن كَانَ أَصْلِيًّا وخلقة فَلَا علاج لَهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَرَض كأجيال من النَّاس وأمم أمزجتهم كَذَلِك.

**٨١-سبب الشجا فِي الْحلق والقذى فِي الْعين والغصة فِي الصَّدْر والوقر على الظّهْر والسل فِي الْجِسْم وَالْحَسْرَة فِي النَّفس**

عَن ابْن مُجَاهِد أَنه قَالَ: الْفضل مَعْدُود من الرزق كَمَا أَن الْخَصْ مَعْدُود فِي جملَة الحرمان.

اعْلَم أَن الْقِسْمَة عدل وَالقَاسِم منصف لِأَنَّهُ بِإِزَاءِ مَا أَعْطَاك من الْأَدَب وَالْفضل وَاللِّسَان وَالْعقل أعْطى صَاحبك الْمَال والجاه والكفاية واليسار فَانْظُر إِلَى النِّعْمَة كَيفَ انقسمت بَيْنكُمَا ثمَّ انْظُر إِلَى الْبلَاء كَيفَ انقسم عَلَيْكُمَا أَيْضا: أبلاك مَعَ الْفضل بِالْحَاجةِ وأبلاه مَعَ الْغنى بالجهالةوَهل الْعدْل إِلَّا فِي هَذِه الْعبْرَة وَالْحق إِلَّا بِهَذِهِ الفكرة.

أَن لكل مَوْجُود فِي الْعَالم -طبيعي كَانَ أَو صناعي -غَايَة وكمالاً وغرضاً صَّحَّاوجد من أَجله وبسببه اعني أَنه إِنَّمَا أوجد ليتم بِهِ ذَلِك الْغَرَض وَإِن كَانَ قد يتم بِهِ أَشْيَاء أخر دون ذَلِك الْغَرَض الْأَخير والكمال الْأَخير وَقد يصلح لأمور لَيست من الْغَرَض الَّذِي قصد بِهِ وَأُرِيد لَهُ فِي شَيْء.

أَعنِي لَا يجوز بِوَجْهوَلَا سَبَب أَلا يكون للْإنْسَان الَّذِي ميز بِهَذِهِ الصُّورَة وَأعْطِي التَّمْيِيز والروية وَفضل بِالْعقلِ الَّذِي هُوَ أجل موهوب لَهُ وَأفضل مَخْصُوص بِهِ غَرَض خَاص وَكَمَال خلق لأَجله وَوجد بِسَبَبِهِ.

وَلما كَانَتصورته الْخَاصَّة بِهِ الَّتِي ميزته عَن غَيره هُوَ الْعقل وخصائصه من التَّمْيِيز والروية -وَجب ان تكون إنسانيته فِي هَذِه الْأَشْيَاء فَكل من كَانَ حَظه من هَذِه الخصائص أَكثر كَانَ اكثر إنسانية

لَو كَانَ غَايَة الْإِنْسَان وغرضه الَّذِي وجد بِسَبَبِهِ وكماله الَّذِي أعد لَهُ هُوَ الاستكثار من الْقنية والتمتع بالمآكل والمشارب وَسَائِر اللَّذَّات والراحات -لوَجَبَ أَن يستوفيها بصورته الْخَاصَّة بِهِ ولوجب أَن تكْثر عِنْده وَيكون نصيب كل إِنْسَان مِنْهَا على قدر قسطه من الإنسانية حَتَّى يكون الْأَفْضَل من النَّاس هُوَ الْأَفْضَل فِي هَذِه

وتتبين ثَمَرَة الْعقل إِذا اسْتعْمل فِي أفضل الموجودات. وَأفضل الموجودات مَا كَانَ دَائِم الْبَقَاء داثر وَلَا متبدل وَغير مُحْتَاج وَلَا فَقير إِلَى شَيْء خَارج عَنهُ

ونسحر بِالطَّعَامِ وبالشراب أَي المُرَاد منا وَالْمَقْصُود بِنَا غَيرهمَا وَإِنَّمَا نسحر بِهَذَيْن.فقد تبين أَن الْإِنْسَان إِذا لم تكن غَايَته هَذِه الْأَشْيَاء الَّتِي تسميها الْعَامَّة أرزاقاً وَلم يخلق لَهَا وَلَا هِيَ مَقْصُود بِالذَّاتِ -فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَهُ أَن يلتمسها وَأَن يتعجب مِمَّن اتّفقت لَهُ وَإِن كَانَ يتشوقهاويحبها فَلَيْسَ ذَلِك من حَيْثُ هُوَ إِنْسَان عَاقل بل هُوَ من حَيْثُ هُوَ حَيَوَان بهيمي

**٨٢- (الْجَبْر وَالِاخْتِيَار)**

إِن الْإِنْسَان تصدر عَنهُ حركات وأفعال كَثِيرَة لَا يشبه بَعْضهَا بَعْضًا.
وَذَلِكَ أَنه يظْهر مِنْهُ فعل من حَيْثُ هُوَ جسم طبيعي فيناسب فِيهِ الجماد.
وَيظْهر مِنْهُ فعل آخر من حَيْثُ هُوَ نَام -مَعَ أَنه جسم طبيعي- فيناسب بذلك الْفِعْل النَّبَات.
وَيظْهر مِنْهُ فعل آخر من حَيْثُ هُوَ ذُو نفس حساس فيناسب بذلك الْفِعْل الْبَهَائِم.
وَيظْهر مِنْهُ فعل آخر من حَيْثُ هُوَ نَاطِق مُمَيّز فيناسب بذلك الْفِعْل الْمَلَائِكَة
وَلكُل وَاحِد من هَذِه الْأَفْعَال والحركات الصادرة عَن الْإِنْسَان أَنْوَاع كَثِيرَة وإليها دواع وَلها أَسبَاب وَينظر أَيْضا فِيهَا من جِهَات مُخْتَلفَة وَتعرض لَهَا عوائق كَثِيرَة وموانع مُخْتَلفَة بَعْضهَا طبيعية وَبَعضهَا اتفاقية، وَبَعضهَا قهرية
وَمَتى لم يفصل النَّاظر فِي هَذِه الْمَسْأَلَة هَذِه الْأَفْعَال بَعْضهَا من بعض وَلم ينظر فِي جهاتها كلهَا اخْتلطت عَلَيْهِ هَذِه الْوُجُوه والتبس عَلَيْهِ وَجه النّظر فِيهَا فعرضت لَهُ الحيرة وَكَثُرت عَلَيْهِ الشّبَه والشكوك.
إِن الْفِعْل - مَعَ اخْتِلَاف أَنْوَاعه وتباين جهاته يحْتَاج فِي ظُهُوره إِلَى أَرْبَعَة أَشْيَاء:
أَحدهمَا الْفَاعِل الَّذِي يظْهر مِنْهُ.
وَالثَّانِي الْمَادَّة الَّتِي تحصل فِيهَا.
وَالثَّالِث الْغَرَض الَّذِي ينساق إِلَيْهِ.
وَالرَّابِع الصُّورَة الَّتِي تقدم عِنْد الْفَاعِل ويروم بِالْفِعْلِ اتخاذها فِي الْمَادَّة وَرُبمَا كَانَت الصُّورَة هِيَ الْفِعْل بِعَيْنِه.
وَأما أَنْوَاع الْأَفْعَال الَّتِي ذكرنَاهَا فَإِنَّمَا اخْتلفت بِحَسب أَنْوَاع القوى الفاعلة الَّتِي فِي الْإِنْسَان وَذَلِكَ أَن لكل وَاحِدَة من القوى الشهوية والقوى الغضبية والقوى الناطقة -خَاص فعل لَا يصدر إِلَّا عَنْهَا.
وَأما الْأَسْبَاب الدَّوَاعِي فبعضها الشوق والنزوع وَبَعضهَا الْفِكر والروية وَقد تتركب هَذِه.
وَأما الْعَوَائِق الَّتِي ذكرنَاهَا فبعضها اتفاقية وَبَعضهَا قهرية وَبَعضهَا طبيعية.
فالاتفاقية بِمَنْزِلَة من يخرج لزيارة صديقه فيلقاه عَدو لم يَقْصِدهُ فيعوقه عَن إتْمَام فعله وكمن ينْهض لحَاجَة فيعثر أَو يَقع فِي بِئْر.
والقهرية بِمَنْزِلَة من يشد يَدَيْهِ اللُّصُوص ليعوقوه عَن الْبَطْش بهما أَو كمن يُقَيِّدهُ السُّلْطَان ليمنعه من السَّعْي والهرب مِنْهُ.
والطبيعية بِمَنْزِلَة الفالج والسكتة وَأما أشبههما.

وَهَهُنَا نظر آخر فِي ٱلفِعْل يَنْبَغِي أَن نتذكره وَهُوَ أَنا رُبمَا نَظرنَا فِي ٱلفِعْل لَا من حَيْثُ ذَاته وَلَكِن من حَيْثُ إِضَافَته إِلَى غَيره
حَيْثُ يُحِبهُ عَمْرو ويكرهه خَالِد
إِن الِاخْتِيَار اشتقاقه بِحَسب اللُّغَة من ٱلخَيْر وَهُوَ افتعال مِنْه
افتعل من ٱلخَيْر أَي فعل مَا هُوَ خير لَهُ إِمَّا على ٱلحَقِيقَة وَإِمَّا بِحَسب ظَنّه.
وَمَعْلُوم أَن الْإِنْسَان لَا يفكر وَلَا يجيل رَأْيه فِي الشَّيْء ٱلوَاجِب وَلَا فِي الشَّيْء الْمُمْتَنع وَإِنَّمَا يفكر ويجيل رَأْيه فِي الشَّيْء الْمُمكن
وَرُبمَا نظر بِحَسب جِهَة من جِهَات ٱلفِعْل وخلى النّظر فِي الْجِهَات الْأُخَر فَيكون حكمه على ٱلفِعْل الإنساني بِحَسب تِلْكَ ٱلجِهَة
وَكَذَلِكَ تكون حَال من ينظر فِي فعله منحَيْثُ هُوَ مُخْتَار فَإِنَّهُ إِذا نظر فِي هَذِه ٱلجِهَة وتخلى عَن الْجِهَات الْأُخَر الَّتِي هِيَ أَيْضا ضَرُورِيَّة فِي وجوده فَإِنَّهُ أَيْضا سيبادر إِلَى الحكم عَلَيْهِ بِأَنَّهُ فَاعل مُتَمَكن وَيمْنَع من ٱلجَبْر.
وَهَكَذَا حَال كل شَيْء مركب عَنبسيط فَإِن النَّاظر فِي ذَلِك الْمركب إِذا نظر فِيهِ بِحَسب جُزْء من أَجْزَائِهِ الَّذِي تركب مِنْهُ وَترك أجزاؤه ٱلبَاقِيَة - تعرض لَهُ الشكوك الْكَثِيرَة من أَجْزَائِهِ ٱلبَاقِيَة الَّتِي ترك النّظر فِيهَا.
وَٱلمذهب الصَّحِيح هُوَ مَذْهَب من نظر فِي وَاحِد وَاحِد مِنْهَا فنسب ٱلفِعْل إِلَى ٱلجَمِيع وَخص كل جِهَة بقسط من الْفِعْل وَلم يَجْعَل ٱلفِعْل الإنساني اخْتِيَارا كُله وَلَا تفويضاً كُله وَلِهَذَا قيل: دين الله بَين الغلو وَالتَّقْصِير.
فَأَما من حَضرته الْقُوَّة الفاعلة بِالِاخْتِيَارِ وَارْتَفَعت تِلْكَ ٱلمَوَانِع عَنهُ وأزيحت علله فِيهَا كلهَا ثمَّ كَانَ ذَلِك لفعل مِمَّا ينظر فِيهِ على طَرِيق الْإِضَافَة أَن يكون طَاعَة لمن تجب طَاعَته آو مَعُونَة لمن تجب معونته أَو غير ذَلِك من وُجُوه الإضافات ٱلوَاجِبَة ثمَّ امْتنع من الْفِعْل فَهُوَ ملوم غير مَعْذُور لِأَنَّهُ قَادر مُتَمَكن وَلأَجل ذَلِك تلحقهُ الندامة من نَفسه والعقوبة من غَيره أَو الْعَيْب والذم.
الِاخْتِيَار - هِيَ ثَمَرَة العقل ونتيجته. وَلَوْلَا هَذِه ٱلجِهَة لما كَانَ لوُجُود ٱلعقل فَائِدَة بل يصير وجوده عَبَثا ولغواً وَنحن نتيقن أَن الْعقل أجل الموجودات وأشرف مَا من الله تَعَالَى بِهِ

**٨٣-لم حن بعض النَّاس إِلَى السّفر من لدن طفوليته إِلَى كهولته)**

ٱلحَواس كلهَا هِيَ حواس بِٱلقُوَّةِ إِلَى أَن تدْرك محسوساتها فَإِذا أدركتها صَارَت حواس بِالْفِعْلوَإِذا كَانَ الْأَمر على مَا وَصفنَا فَلَيْسَ بعجب أَن يكون هَذَا الْمَعْنى فِي بعض ٱلحَواس قَوِيا ويضعف فِي بعض فَيكون بعض النَّاس يشتاق إِلَى السماع وَبَعْضهمْ إِلَى النّظر وَبَعْضهمْ إِلَى المذوقات من ٱلمَأْكُول وٱلمشروب وَبَعْضهمْ إِلَى المشمومات وألوان الروائح بَعضهم إِلَى

الملبوسات من الثِّيَاب وَغَيرهَا.وَرُبمَا اجْتمع لوَاحِد أَن يشتاق إِلَى اثْنَيْنِ مِنْهَا أَو ثَلَاثَة أَو إِلَيْهَا كلهَا. وَلكُل وَاحِد من هَذِه المحسوسات أَنْوَاع كَثِيرَة لَا تحصى ولأنواعهاشلخاص بِلَا نِهَايَة. وَهِي على كثرتها وعددها الجم وخروجها إِلَى حد مَا لَا نِهَايَة لَهُ - لَيست كمالات للْإنْسَان من حَيْثُ هُوَ إِنْسَان وَإِنَّمَا كَمَاله الَّذِي يتمم إنسانيته هُوَ فِيمَا يُدْركهُ بعقله.

فقد ظهر السَّبَب فِي تشوق بعض النَّاس إِلَى الغربة وجولان الأَرْض. وَهُوَ أَن قوته النزاهية الَّتِي تخْتَص بالبصر تحب الاستكثار من المبصرات

**٨٤- مَا سَبَب رَغْبَة الْإِنْسَان فِي الْعلم؟**

وَهُوَ أَن الْعلم كَمَال الْإِنْسَان من حَيْثُ هُوَ إِنْسَان لِأَنَّهُ إِنَّمَا صَار إنْسَانا بصورته الَّتِي ميزته عَن غَيره أَعنِي النَّبَات والجماد والبهائم.

فِي حد الْإِنْسَان:إِنَّه حَيّ نَاطِق مائت فمميز بالنطق أَعنِي بالتمييز وَبَينه وَبَين غَيره دون تخطيطه وشكله وَسَائِر أغراضه ولواحقه.وَإِذا كَانَ هَذَا الْمَعْنى من الْإِنْسَان هُوَ مَا صَار بِهِ إنْسَانا فكلما كثرت إنسانيته كَانَ أفضل فِي نَوعه.

الْمَوْت لَيْسَ بِأَكْثَرَ من ترك النَّفس اسْتِعْمَال الْآلَات الْبَدَنِيَّة.

**٨٥-( لم كلما شَاب الْبدن شب الأمل)**

وَمَا الأمل أَولا وَمَا الأمنية ثَانِيًا وَمَا الرَّجَاء ثَالِثا

فَلم تَوَاصى النَّاس بقصر الأمل وَقطع الْأَمَانِي وبصرف الرَّجَاء إِلَّا فِي الله - تبَارك وَتَعَالَى-وَإِلَى الله فَإِنَّهُ سَاتِر الْعَوْرَة وراحم الْعبْرَة وقابل التَّوْبَة وغافر الْخَطِيئَة وكل أمل فِي غَيره بَاطِل وكل رَجَاء فِي سواهُ زائل.

فَأَما الشيب والنقصانات الَّتِي تعرض للبدن وَعجز القوى التابعة للمزاج فَهِيَ أُمُور طبيعية فِي آلَات تكل بِالِاسْتِعْمَالِ وتضعف على مر الزَّمَان. وَأما أَفعَال النَّفس فَإِنَّهَا كلما تَكَرَّرت وأديمت فَإِنَّهَا تقوى ويشتد أَثَرهَا فَهِيَ بالضد من حَال الْبدن.

فَأَما الْفرق بَين الأمل والرجاء وَبَين الأمنية فَظَاهر

وَذَلِكَ أَن الأمل والرجاء يعلقان بالأمور الاختيارية وبالأشياء الَّتِي لَهَا هَذَا الْمَعْنى.

فَأَما الأمنية فقد تتَعَلَّق بِمَا لَا اخْتِيَار لَهُ وَلَا روية فَإِنَّهُ لَيْسَ يمْنَع مَانع من تمني الْمحَال والأشياء الَّتِي لَا تَمْيِيز فِيهَا وَلَا لَهَا.

فَأَما قَوْلك لم تَوَاصى النَّاس بقصر الأمل وَقطع الْأَمَانِي وَصرف الرَّجَاء إِلَّا فِي الله تَعَالَى

فَأَقُول: لِأَن سَائِر الْأَشْيَاء المأمولة والمرجوة والمتمناة مُنْقَطِعَة المدد متناهية الْعدَد ثمَّ هِيَ متلاشية فِي أَنْفسهَا مضمحلة بائدة فَاسِدَة لَا يثبت شَيْء مِنْهَا

علي حَال لَحْظَة وَاحِدَة فَلَو وصل الْوَاصِل إِلَيْهَا وَبلغ نهمته مِنْهَا لأَوْشَكَ ان يتلاشى ويضمحل تِلْكَ الشَّيْء فِي نَفسه أَو يتلاشى ويضمحل الأمل فِيهِ أَو رجاؤه وتمنيه.

فَأَما مَا اتَّصل من هَذِه بِاللَّه -تَعَالَى ذكره- فَهُوَ أبدى غير مُنْقَطع وَلَا مضمحل بل الله -تَعَالَى- دَائِم الْفَيْض بِهِ أبدى الْجُود مِنْهُ.

**٨٦-(لم صَارَت غيرَة الْمَرْأَة على الرجل أَشد من غيرَة الرجل على الْمَرْأَة)**

أما الْغيرَة فَهِيَ خلق طبيعي عَام للْإنْسَان والبهائم. وَهُوَ ممدوح إِذا كَانَ على شَرَائِط الْأَخْلَاق.

وَكَانَ معتدل الْخلق بَين هذَيْن الطَّرفَيْنِ يغْضب كَمَا يَنْبَغِي وعَلى مَا يَنْبَغِي - فَهُوَ مَحْمُود غير ملوم.فَأَما من فرط أَو أفرط فِي الْغيرَة فسبيله سَبِيل من تجَاوز الِاعْتِدَال فِي سَائِر الْأَخْلَاق إِلَى الزِّيَادَة أَو النُّقْصَان

فَأَما زِيَادَة حَظّ الْأُنْثَى على الذّكر من الْغيرَة أَو الذّكر على الْأُنْثَى فَلَيْسَ بِلَازِم طَرِيقَة وَاحِدَة وَلَا جَار على وتيرة وَاحِدَة

على أَن الذّكر أولى بالمحاماة وأخص بِهَذَا الْخلق لِأَنَّهُ تسْتَعْمل فِيهِ قُوَّة الْغَضَب والشجاعة وَهَذَا أولى بِالذكر مِنْهُ بِالْأُنْثَى

تشارك فِيهِ الذّكر.

بعض الْحَيَوَان من لَا تعرض لَهُ الْغيرَة كَالْكَلْبِ والتيس ويسب بِهِ الْإِنْسَان إِذا ذكر بِهِ وَسمي باسمهونجد أَيْضا بَعْضهَا غيورا محاميا كالكبش

٨٧-مَا السَّبَب فِي طلب الْإِنْسَان فِيمَا يسمعهُ ويقوله ويفعله ويرتئيه ويروى فِيهِ الْأَمْثَال

إِن الْأَمْثَال إِنَّمَا تضرب فِيمَا لَا تُدْرِكهُ الْحَواس مِمَّا تُدْرِكهُ.

فَإِذا أخبر الْإِنْسَان بِمَا لم يُدْرِكهُ أَو حدث بِمَا لم يُشَاهِدهُ وَكَانَ غَرِيبا عِنْده - طلب لَهُ مِثَالا من الْحس فَإِذا أعطي ذَلِك أنس بِهِ وَسكن إِلَيْهِ لإلفه لَهُ.

٨٨-(مَا السَّبَب فِي أَن إحساس الْإِنْسَان بألم يَعْتَرِيه أَشد من إحساسه بعافية تكون فِيهِ)

تَجِد شكوى الْمُبْتَلى أَكثر من شكر الْمعَافى

السَّبَب فِي ذَلِك أَن الْعَافِيَة إِنَّمَا هِيَ حَال ملائمة مُوَافقَة للْحَال الطبيعي من المزاج المعتدل الْمَوْضُوع لتِلْك الْبدن. والملائمة والموافقة لَا يحس بهما وَإِنَّمَا الْحس يكون للشَّيْء الَّذِي لَا مُوَافقَة فِيهِ.

وليكون ألمه بِمَا يُرِيد عَلَيْهِ مِمَّا لَا يُوَافقهُ سَببا لتلافيه وتداركه قبل أَن يتفاوت مزاجه ويسرع هَلَاكه.

وَلَو خلا الْإِنْسَان من الحس وَمن الْأَلَم ومكانه لَكَانَ هَلَاكه وشيكاً من الْآفَات الْكَثِيرَة وَأما الْحَال الملائمة فَلَا يحْتَاج إِلَى إحساس بهَا. وَهَذِه حَال جَمِيع الْحَواس الْخمس فِي أحوالها الطبيعية وانها لَا تحس بِمَا يلائمها وَإِنَّمَا تحس بِمَا لَا يُوَافِقهَا أَفُولِن حس اللَّمْس الَّذِي هُوَ مُشْتَرك بِجَمِيع الْبدن إِنَّمَا يدْرك مَا زَاد أَو نقص عَن اعتداله الْمَوْضُوع لَهُ فَإِن الْبدن لَهُ اعْتِدَال من الْحَرَارَة مثلا فَإِذا لاقاه من حرارة الْهَوَاء مَا يلائمه وَيُوَافِقهُ لم يحس بِهِ أصلافَإِن خرج الْهَوَاء عَن ذَلِك الِاعْتِدَال الَّذِي للبدن إِمَّا إِلَى برد أَو حر أحس بِهِ فبادر إِلَى تلافيه وإصلاحه

**٨٩-س:قد نرى من يضْحك من عجب يرَاهُ، ويسمعه أَو يخْطر على قلبه، ثمَّ ينظرإِلَيْهِ نَاظر من بعد فيضحك لضحكه من غير أَن يكون شَرِيكه فِيمَا يضْحك من أَجله**

إِن النَّفس الشخصية تتأثر من النَّفس الشخصية ضروباً من التأثيرات بَعْضهَا سريعة، وَبَعضهَا بطيئة، وَقد مر لنا كَلَام كثير فِي هَذَا الْمَعْنى فَمن تأثيرها السريعة بَعْضهَا فِي بعض النّوم، والتثاؤب، وَكثير مَا الراحات فَإِنَّهُ قد اشتهر فِي النَّاس أَن من نَعَسَ أَو تناعس عِنْد المستيقظ الَّذِي لَا فتور بِهِ أنعسه ونَوَّمَهُ، وَكَذَلِكَ المتثائب والمتكاسل عَن عمل. وَقد يعرض قريب من ذَلِك فِي لنشيط للعَمَل أَن ينشط أَولا [فيعدي الآخر] ، وَلَكِن الأول أنشط وَأبين وَالسَّبَب فِي ذَلِك أَن النَّفس وَإِن كَانَت كَثِيرَة بالأشخاص فَهِيَ وَاحِدَة فِي ذَاتهَا فَلَيْسَ بعجب أَن يتأدَّى من بعض الْأَشْخَاص إِلَى بعض آثَار نفسية سريعة بِلَا زمَان بتة.

**٩٠-س:لم اشْتَدَّ عشق الْإِنْسَان لهَذَا الْعَالم حَتَّى لصق بِهِ وآثره وكدح فِيهِ مَعَ مَا يرى من صروفه وحوادثه ونكباته وَغَيره وزواله بأَهْله وَمن أَيْن اسْتَفَادَ الْإِنْسَان هَذَا الْعرض.**

وَكَيف لَا يشْتَد عشقه إِلَى للْعَالم وَهُوَ طبيعي وجزء لَهُ إِنَّمَا مبدؤه مِنْهُ ومنشؤه فِيهِ وتولده عَنهُ أَلا ترَاهُ يبتدىء وَهُوَ نُطْفَة فينشأ نشوء النَّبَات أَعنِي أَنه يستمد غذاءه بعروق مَوْصُولَة برحم أمه فيستقي الْمَادَّة الَّتِي تُقِيمهُ كَمَا تستقي عروق الشّجر فَإِذا تمّ وَصَارَ خلقا آخر وأنشأه الله -تَعَالَى - حَيَوَان أخرجه من هُنَاكَ فَحِينَئِذٍ يغتذى بفمه ويتنفس فَيصير فِي مرتبَة الْحَيَوَان غير النَّاطِق وَلَا يزَال كَذَلِك إِلَى أَن يقبل صُورَة النُّطْق أَولا فَيصير إِنْسَانا ثمَّ يتدرج فِي إنسانيته حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى غَايَة مَا يؤهل لَهُ من الْمَرَاتِب فِيهَا وَلَيْسَ يَنْتَهِي إِلَى الرُّتْبَة الْأَخِيرَة الَّتِي هِيَ غَايَة الإنسانية إِلَّا الْأَفْرَاد من النَّاس وَالْوَاحد بعد الْوَاحِد فِي الْأَزْمِنَة الطوَال والفترات الْكَثِيرَة.

**٩١-(لم قيل لَوْلَا الحمقى لخربت الدُّنْيَا)**
قد تبين أَن الْإِنْسَان مدنِي بالطبع وَأَنه لَا يعِيش متوحداً كَمَا تعيش الطير والوحش
وَالْإِنْسَان عَار لَا طَاقَة لَهُ وَلَا هِدَايَة إِلَى قوته ومصلحته إِلَّا بالاجتماع والتعاون هُوَ المدنية.
وَلَو تبلغ النَّاس بضروراتهم وطرحوا فضول الْعَيْش وَعمِلُوا بِمَا يَقْتَضِيه مُجَرّد الْعقل لصاروا كلهم زهاداً وَلَو كَانُوا كَذَلِك لبطل هَذَا النظام الْحسن والزين الَّذِي فِي الْعَالم وعاشوا عيشة قشفة
هَل يُسمى القوام بعمارة الدُّنْيَا حمقى فَأَقُول: إِنَّه لَا يجوز أَن يسميهم بذلك فَإِن الْحُكَمَاء إِنَّمَا تركُوا النّظر فِي عمَارَة الدُّنْيَا لِأَنَّهَا عَائِدَة بعمارة الْأَبدَان وَلما اطلعوا على شرف النَّفس على الْبدن وَرَأَوا لَهَا عَالما آخر وجمالاً يَلِيق بذلك الْعَالم وصناعات وعلوماً ومسالك ركُوبهَا أشق وأعسر من ركُوب مخاطرات الدُّنْيَا وَلُزُوم محجتها والدءوب فِيهَا بِالنّظرِ وَالْعَمَل أصعب وَأكْثر تعباً من الدءوب وَالْعَمَل فِي الدُّنْيَا
٩٢مَسْأَلَة مَا السَّبَب فِي قلق من تأبط سوأه واحتضن ريبَة واستسر فَاحِشَة
**س: كَاد الْمُرِيب يَقُول خذوني**
أَن النَّفس هِيَ الْمُدبرَة لبدن الْحَيّ وَلَا سِيمَا الْإِنْسَان الْمُخْتَار
وَذَاكَ ان النَّفس إِذا عرفت شَيْئا واستعملت ضد مَا يَلِيق بِتِلْكَ الْمعرفَة لحقها من الِاضْطِرَاب مَا يلْحق الطبيعة إِذا كَانَت حركتها يمنة فحركت يسرة بِقُوَّة دون قوتها أَو مُسَاوِيَة لَهَا.
**٩٣-( لم إِذا كَانَ الْوَاعِظ صَادِقا نجع كَلَامه ونفع وعظه وَسَهل الاقْتِدَاء بِهِ)**
وخفت الطَّاعَة لَهُ وَالْأَخْذ بِمَا قَالَه وَلم إِذا كَانَ بِخِلَاف ذَلِك لم يُؤثر كَلَامه وَإِن راق وَلَا ينفع وعظه وَإِن بلغ وَمَا فِي انسلاخه من حَقِيقَة مَا يَقُول مَعَ حَقِيقَة القَوْل وَصِحَّة الدّلَالَة وسطوع الْحجَّة وَكَيف صَار فعله مشيداً لقَوْله وخلافه موهناً لدلالته أَلَيْسَ الْحِكْمَة قَائِمَة فِي نَفسهَا مُسْتَقلَّة بِصِحَّتِهَا وَلِهَذَا قيل الموعظة إِذا خرجت من الْقلب وَقعت فِي الْقلب وَإِذا خرجت من اللِّسَان لم تجَاوز الآذان
وَرُبمَا كَانَ أَكثر من ترَاهُ من الواعظين هُوَ بِالْحَقِيقَةِ غير مُعْتَقد لما يظهره وَإِنَّمَا غَايَته أَن يشغل النَّاس عَمَّا فِي أَيْديهم أَو لتتم لَهُ رئاسة باجتماع النَّاس إِلَيْهِ أَو لأرب لَهُ من الدُّنْيَا فَأَي موقع لكَلَام مثل هَذَا إِذا عرف الموعوظ غَايَته وأشرف على نِيَّته ومذهبه. وَالْأَمر بالضد فِيمَن عمل واجتهد وأخلص سره وَوَافَقَ عمله علمه وَقَوله نِيَّته فَإِنَّهُ يصير إِمَامًا يقْتَدى بِهِ ويوثق بِكَلَامِهِ

وَيكثر اتِّبَاعه والناظرون فِيمَا ينظر فِيهِ والمصدقون بِحكمِهِ.

**٩٤-( لم اعتزت الْعَرَب والعجم فِي مَوَاقِف الحروب)**

الْغَضَب فِي الْإِنْسَان يكون بِالْقُوَّةِ إِلَى أَن يُخرجهُ إِلَى كَذَلِك سَائِر قوى النَّفس. وَمَا يُخرجهُ إِلَى الْفِعْل يَنْقَسِم قسمَيْن: إِمَّا من خَارج وَإِمَّا من دَاخل.

فَالَّذِي يكون من خَارج فَهُوَ مثل انتهاك الْحُرْمَة وَشتم الْعرض وَمَا أشبه ذَلِك.

وَالَّذِي يكون من دَاخل فَهُوَ تذكر الذُّنُوب والأحقاد وَجَمِيع الْأَحْوَال الَّتِي من شَأْنهَا قدح هَذِه الْقُوَّة.

وَمن شَأْن النَّفس إِذا كَانَت سَاكِنة وَالتَّمْر الْإِنْسَان فعلا قَويا مِنْهَا لم تستجب لَهُ الْأَعْضَاء عَمَّا يلْتَمس فَحِينَئِذٍ يضْطَر إِلَى تَحْرِيك النَّفس وإثارتها. وبحسب تِلْكَ الْحَرَكَة من النَّفس تكون قُوَّة ذَلِك الْفِعْل وَأَنت تتبين ذَلِك من المسرور إِذا أَرَادَ أَن يظْهر غَضبا أَو يفعل فعل الغضوب كَيفَ تتخاذل أعضاؤه وَيظْهر عَلَيْهِ أثر التَّكَلُّف فَرُبمَا أضْحك من نَفسه وَضحك هُوَ أَيْضا فِي أحْوج مَا كَانَ إِلَى قُوَّة الْغَضَب فَيحْتَاج فِي تِلْكَ الْحَال إِلَى إثارة الْقُوَّة الغضبية بتذكر أَمر يهيج تِلْكَ الْقُوَّة حَتَّى يصدر فعله على مَا يَنْبَغِي.

**٩٥-(مَا السَّبَب فِي أَن النَّاس يَقُولُونَ هَذَا الْهَوَاء أطيب من تِلْكَ الْهَوَاء)**



فَإِن النَّار من بَينهَا خَاصَّة أقل قبولاً لقُوَّة غَيرهَا وأعسر ممازجة وَذَلِكَ أَن صُورَة النَّار غالبة على مادتها.

فَأَما النَّار فَإِن صورتهَا الْخَاصَّة بهَا غالبة على مائيتها حَتَّى لَا تقبل من المزاج مَا يظْهر للحس مِنْهُ نُقْصَان أثر من الإحراق الَّذِي هُوَ فعلهَا أَو الضَّوْء الَّذِي هُوَ خاصتها.

**٩٦-(لم فَرح الْإِنْسَان بنيل مَال وإصابة خير من غير احتساب لَهُ)**

إِن جَمِيع مَا يُصِيبالْإِنْسَان مِمَّا يخص نَفسه أَو جِسْمه إِذا وصل إِلَيْهِ بتدريج قل إحساسه بِهِ وَضعف ظُهُور أَثَره عَلَيْهِ. أما مِثَال ذَلِك فِي الْجِسْم فَإِن الْأَمْرَاض الَّتِي يخرج بهَا عَن الِاعْتِدَال على تدريج فَلَيْسَ يشْعر بهَا إِلَّا شعوراً يَسِيرا وَرُبمَا لم يشْعر بهَا أَلْبَتَّة.

فاللذة والألم حالان يستويان فِي انهما يردان دفْعَة بِلَا تدريج فيستويان فِي بَاب شدَّة الإحساسوَهَذِه الْمَسْأَلَة أحد الْآثَار الَّتِي ترد على الْإِنْسَان مرّة بتدريج وَمرَّة بِغَيْرتدريج فَتَصِير حَال الْإِنْسَان بِمَا لم يحتسبه وَلم يتدرج بالمزاولة حَال مَا يُصِيبهُ ضَرْبَة وَاحِدَة مِمَّا ضربنا مِثَاله فيكثر إحساسه بِهِ وَظُهُور أَثَره عَلَيْهِ.

**٩٧-( لم صَار الْبُنيان الْكَرِيم وَالْقصر المشيد إِذا لم يسكنهُ النَّاس تداعى**

**عَن قرب)**
وَمَا هَكَذَا هُوَ إِذا سكن لَعَلَّك تظن أَن ذَلِك لِأَن السكان يرْمونَ مِنْهُ مَا استرم ويتلافون مَا تداعى وتهدم ويتعهدونه بالتطرية والكنس فَاعْلَم ان هَذَا لَيْسَ لذاك
إِن مُعظم آفَات الْبُنيان يكون منتشعيث الأمطار وانسداد مجاري الْمِيَاه بِمَا تحصله الرِّيَاح فِي وَجه المآزيب ومسالك الْمِيَاه إِلَى أصُول الْحِيطَان من خَارج الْبناء وداخله وَبِمَا يتثلم من وُجُوه الْبُنيان الْكَرِيمَة بالآفات الَّتِي تعرضها لحركات الْهَوَاء والأمطار وَالْبرد والثلوج.
فَأَما ظُهُور الْهَوَام فِي أصُول الْحِيطَان والعناكب فِي سقوفه وَأَخذهَا من الْجَمِيع مَا يتَبَيَّن أَثَره على الْأَيَّام فشيء ظَاهر وَذَلِكَ أَن هَذَا الضَّرْب من الخراب قَبِيح الأثر جدا ينبو الطّرف عَنهُ ويسمج بِهِ الْبناء الشريف.
آثَار الدبيب من الفأر والحيات وضروب الحشرات الَّتِي تتَّخذ لنَفسهَا أكنة بالنقب وَالْبناء كالأرصنة والنمل وَمَا تجمعه من أقواتها وَمن نسج العنكبوت وتراكم الغبرة على النقوش
وَإِذا كَانَ فِيهَا السكان منعُوا هَذِه الْأَسْبَاب الْعَظِيمَة فِي الخراب وَكَانَ مَا يشعثونه بعد هَذِه الْأَشْيَاء يَسِيرا بِالْإِضَافَة إِلَيْهَا فَكَانَ الْبناء إِلَى الْعمرَان أقرب وَمن الخراب أبعد

**٩٨ -( لم صَار الْكَرِيم الْمَاجِد النجد يلد اللَّئِيم السَّاقِط الوغد)**
وَرُبمَا كَانَ مزاج الابْن بَعيدا من مزاج الْأَب وانضاف إِلَى ذَلِك سوء تَأْدِيب ورداءة سياسة
**٩٩ - (لم إِذا كَانَ الْإِنْسَان بَعيدا عَن وَطنه ومسقط رَأسه وملهى عَنهُ) وَأعظم مَا يكون الشوق يَوْمًا إِذا دنت الديار من الديار.**
هَذَا الْمَعْنى مَوْجُود فِي الْأَشْيَاء الطبيعية أَيْضا مُسْتَمر فِيهَا وَذَاكَ أَنَّك لَو أرْسلت حجرا من مَوضِع عَال مركزه لَكَانَ يبتدىء بحركته وَكلما قرب من مركزه احتدت الْحَرَكَة وَصَارَت أسْرع إِلَى أَن تصير عِنْد قربه من الأَرْض على أحد مَا تكون وأسرعه.
وَكَذَلِكَ حكم النَّار والعناصر الْبَاقِيَة إِذا أرْسلت من غير أمكنتها الْخَاصَّة بهَا فَإِنَّهَا كلما قربت من مراكزها اشتدت حركتها ونزاعها.
وَكَذَلِكَ حَال النَّفس فِي أَنَّهَا إِذا كَانَت بعيدَة من مألفها كَانَ نزاعها أيسر فَكلما دنت مِنْهُ اشْتَدَّ نزاعها وحركتها الَّتِي تسمى شوقاً.
إِن هَذِه الْمَوَاضِع لَا يبْحَث عَنْهَا بلم لِأَن لم إِنَّمَا يبْحَث بهَا عَن طلب عِلّة ومبدأ وَهَذِه مبادىء فِي أَنْفسهَا وَلَيْسَ عِلّة

**١٠٠ -( لم قيل الرأى نَائِم والهوى يقظان وَلِذَلِك غلب الْهوى الرأى)**
الْعقل صديق مَقْطُوع والهوى عَدو متبوع
فَأَما مَعْنَاهُ فَهُوَ أَن الْهوى فِينَا قوى جدا والرأى ضَعِيف وَسبب ذَلِك أَنا - معشر النَّاس - طبيعيون وجزء الطبيعة فِينَا أغلب من جُزْء الْعقل
وَلذَلِك نكل عِنْد النّظر فِي المعقولات وَلَا نكل عِنْد النّظر فِي الطبيعيات ذَلِك الْكَلَال لِأَن الْعقل وَإِن كَانَ فِي نَفسه شريفاً عالى الرُّتْبَة فَإِن أَثَره عندنَا يسير.
والطبيعة وَإِن كَانَت ضَعِيفَة بِالْإِضَافَة إِلَى الْعقل منحطة الرُّتْبَة فَإِنَّهَا قَوِيَّة فِينَا لأَنا فِي عالمها وَنحن أَجزَاء مِنْهَا ومركبون من عناصرها وَفينَا قواها أجمع.
**١٠١ -س: الْعَرَب تؤنث الشَّمْس وتذكر الْقَمَر فَمَا الْعلَّة فِي ذَلِك وأى معنى عنوا بِهَذَا الإطباق**
المنجمين يذكرُونَ الشَّمْس ويؤنثون الْقَمَر.
وَلَكِن الْعَرَب أَظن السَّبَب فِي تَأْنِيث الشَّمْس إِيَّاهَا أَنهم كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْكَوَاكِب الشَّرِيفَة أَنَّهَا بَنَات الله تَعَالَى الله عَن ذَلِك علوا كَبِيرا - وكل مَا كَانَ مِنْهَا أشرف عِنْدهم عبدوه. وَقد سموا الشَّمْس خَاصَّة باسم الْآلهَة فَإِن اللات اسْم من اسمائها فَيجوز أَن يكونُوا أنثوها لهَذَا الِاسْم ولاعتقادهم أَنَّهَا بنت من الْبَنَات بل هِيَ أعظمهن عِنْدهم.

**١٠٢ -( هَل يجوز لإِنسَان أَن يعي الْعُلُوم كلهَا على افتنانها وطرقها وَاخْتِلَاف اللُّغَات والعبارات عَنْهَا)**
فَإِن كَانَ يجوز فَهَل يجب وَإِن وَجب فَهَل يُوجد وَإِن كَانَ وجد فَهَل عرف وَإِن كَانَ جَائِزا فَمَا وَجه جَوَازه
جزئيات الْعُلُوم بِلَا نِهَايَة وَمَا لَا نِهَايَة لَهُ لَا يخرج إِلَى الْوُجُود. وَلَكِن الْمَطْلُوب من كل علم هُوَ الْوُقُوف على كلياته الَّتِي تَشْتَمِل على جَمِيع أَجْزَائِهِ بِالْقُوَّةِ.
**وَفِي الطباع أَن يكره الإِنْسَان من يكرههُ ويبغض من يبغضه**
**١٠٣ -س: لم كَانَ الْيُتْم فِي النَّاس من قبل الْأَب وَفِي سَائِر الْحَيَوَان من قبل الْأُم)**

إِن الإِنْسَان من حَيْثُ هُوَ حَيَوَان مشارك للبهائم فِي هَذَا الْمَعْنى مُحْتَاج إِلَى مَا يقيمه من الأقوات الَّتِي تحفظ عَلَيْهِ حيوانيته. وَمن حَيْثُ هُوَ إِنْسَان مشارك للفلك فِي هَذَا الْمَعْنى يحْتَاج إِلَى مَا يبلغهُ هَذِه الدرجَة بالتعليم والتأديب لِأَن الْأَدَب يجْرِي من النَّفس مجْرى الْقُوت من الْبدن وَالَّذِي يقوم بِالْحَالِ الأولى وَهِي الْأُم وَالَّذِي يقوم لَهُ بِالْحَالِ الثَّانِيَة هُوَ الْأَب. وَلما كَانَت

ٱلحَالة الثَّانِيَة أشرف أَحْوَاله وَهِي الَّتِي بهَا يصير هُوَ مَا هُوَ اعني أَن يصير إِنْسَاناوجب أَن يكون يتمه من قبل أَبِيه. وَلما كَانَ سَائِر ٱلحَيَوَانَات كَمَا حيوانيتها فِي ٱلقُوت البدني وَجب أَن يكون يُتمهَا من قبل الأم. وَلَعَلَّ الْإِنْسَان قبل أَن يبلغ حد التَّعَلُّم من الأب وَفِي حَال حَاجته إِلَى الرَّضَاع إِذا فقد أمه سمي يَتِيما من قبل الْأُم وَلم يمْتَنع إِطْلَاق ذَلِك عَلَيْهِ.

**١٠٤ النَّفس لَا تعطل ٱلجَوَارِح إِلَّا عِنْد النّوم**

وَٱلعقل يستهجن البطالة وَلَا بُد من تَحْرِيك الْأَعْضَاء فِي ٱليَقَظَة إِمَّا بِقصد وإدارة وبصناعة ولأغراض مَقْصُودَة وَإِمَّا بعبث وَلَهو وَعند غَفلَة ولقباحة العطلة ونفور الْعقل عَنْهَا اشْتغل الْفَرَاغ بلعب الشطرنج والنرد على سخافتهما وَأَخذهمَا من ٱلعُمر وذهابهما بِالزَّمَانِ فِي غير طائل فَإِن ٱلجُلُوس بِلَا شغل وَلَا حَرَكَة بِغَيْر ضَرُورَة أَمر يأباه النَّاس

**١٠٥ -(مَا بَال أَصْحَاب التَّوْحِيد لَا يخبرون عَن ٱلبَارِي إِلَّابِنَفْي الصِّفَات)**

وَمَا لَيْسَ لَهُ عِلّة تتقدمه فوجوده أبدا وَمَا وجوده أبدا فَهُوَ وَاجِب ٱلوُجُود وَمَا كَانَ كَذَلِك فَهُوَ لم يزل وَمَا لم يزل فَلَيْسَ لَهُ عِلّة فَلَيْسَ بمتركب وَلَا متكثر لِأَنَّهُ لَو كَانَ مركبا لَكَانَ متركباً لَكَانَ وَقد قُلْنَا إِنَّه أول لم يتقدمه شَيْء فَإِذن لَيْسَ بمركب وَلَا متكثر.



**١٠٦ -(مَسْأَلَة لم صَار الْإِنْسَان فِي حفظ الصَّوَاب أنفذ مِنْهُ فِي حفظ**

إِن الصَّوَاب شَيْء وَاحِد وَله سمت يُشِير إِلَيْهِ فَأَما الانحراف عَن ذَلِك السمت وَٱلخَطَأ فِيهِ وَعنهُ فَأمر لَا نِهَايَة لَهُ فَلذَلِك لَا يُمكن ضَبطه فَأَما الْعُدُول عَنهُ فَهُوَ كالعدول عَن نقطة الدائرة الَّتِي تسمى مركزاً فَإِن النقطة فِي الدائرة الَّتِي لَيست مركزاً هِيَ كَثِيرَة بِلَا نِهَايَة وَإِنَّمَا المحدودة مِنْهَا على نقطة وَاحِدَة أَعنِي الَّتِي بعْدهَا من جَمِيع مُحِيط الدائرة بالسَّواء

١٠٧ -( ٱلعَالم أطول عمرا من ٱلجَاهِل بِكَثِير) وَإِن كَانَ أقصر عمرا عَنهُ. فَٱلوَاجِب أَن يظنّ بالجاهل الَّذِي يحيا حَيَاة بدنية أَنه لَيْسَ بحي بتة أَعنِي أَنه لَيْسَ بِإِنْسَان وَلَا فَأَما العَالم فَٱلوَاجِب أَن يُقَال فِيهِ إِنَّه هُوَ الْحَيّ بِٱلحَقِيقَة كَمَا أَن غَيره هُوَ ٱلمَيِّت.

**١٠٨ -( لم صَارَت بلاغة اللِّسَان أعْسر من بلاغة ٱلقَلَم)**

ذَلِك لِأَن البلاغة الَّتِي تكون بالقلم تكون مَعَ روية وزمان متسع للانتقاد والتخير وَالضَّرْب والإلحاق وإجالة الروية لإبدال الْكَلِمَة بِٱلكَلِمَةِ. وَمن تبادل بِٱلكَلَام مَتى لم يكن لَفظه وَمَعْنَاهُ متوافيين عرض لَهُ التتعتع والتلجلج وتمضغ ٱلكَلَام وَهَذَا هُوَ العي ٱلمَكْرُوه المستعاذ مِنْهُ

**١٠٩ـ (لم صَار الْيَقِين إِذا حدث وطرأ لَا يثبت وَلَا يسْتَقرّ)**

الْأَمر كَذَلِك فَإِن مرتبَة الْيَقِين أَعلَى مرتبَة تكون فِي الْعلم وَلَيْسَ يجوز أَن يطْرَأ عَلَيْهِ شكّ بعد أَن صَار يَقِينا.

الشاك إِذا أرشد وَأهْديت لَهُ الْحِكْمَة لَا يزْدَاد إِلَّا جموحاً فَإِن ذَلِك يعْتَرض لأحد شَيْئَيْنِ:إِمَّا لِأَن المرشد لم يتأت للشاك وَلم يدرجه إِلَى الْحِكْمَة فَحَمله مَا لَا يضطلع بِهِ وَإِمَّا لِأَن الْحَكِيم رُبمَا نهى عَن أَشْيَاء يمِيل إِلَيْهَا الطَّبْع بالهوى إِن قوى الْهوى أغلب وَأقوى فِينَا من قوى الْعقل فَيصير حَاله حَال من يجدنه حبلان أَحدهمَا ضَعِيف وَالْآخر قوى ـ لَا محَالة ـ يستجيب للأقوى إِلَى أَن تقوى عزيمته على الْأَيَّام فيضعف القوى ويقوى الضَّعِيف كَمَا أَشَارَ بِهِ الْحُكَمَاء وشرعه الْأَنْبِيَاء.

**١١٠ مَسْأَلَة لم صَار النَّاس يَضْحَكُونَ من السخرة والمضحك إِذا لم يضْحك** أَكثر من ضحكهم مِنْهُ إِذا ضحك

إِن من شَأْن المضحك أَن يتطلب أموراً معدولة عَن جهاتها ليستدعي بذلك تعجب السَّامع وضحكه.

**١١١ـ(لم يضيق الْإِنْسَان فِي الرَّاحَة إِذا توالت عَلَيْهِ وَفِي النِّعْمَة إِذا حالفته)**



الْعَافِيَة ملك خَفِي لَا يصبر عَلَيْهَا إِلَّا ولى ملهم أَو نَبِي مُرْسل. هَذَا وَالنَّاس مَعَ اخْتلَافهمْ يحبونَ الْعَافِيَة ويميلون إِلَى الرَّاحَة ويعوذون من الشَّرّ وَمِمَّا يُورث مِنْهُ ويستعقب عَنهُ.

السَّبَب فِي ذَلِك ان الرَّاحَة إِنَّمَا تكون عَن تَعب تقدمها لَا محَالة. وَجَمِيع اللَّذَّات يظْهر فِيهَا أَنَّهَا راحات من آلام وَإِذا كَانَت الرَّاحَة إِنَّمَا تكون عَن تَعب فَهِيَ إِنَّمَا تستلذ وتستطاب سَاعَة يتَخَلَّص من الشَّيْء المتعب.

فَإِذا اتَّصَلت الرَّاحَة وَذهب ألم التَّعَب لم تكن الرَّاحَة مَوْجُودَة بل بطلت وَبَطل مَعْنَاهَا. وَمَعَ بُطْلَانهَا بطلَان اللَّذَّة. وَمَعَ بطلَان اللَّذَّة غلط الْإِنْسَان فِي الشوق إِلَى اللَّذَّة الَّتِي يجهل حَقِيقَتهَا أَعنِي أَنه يشتاق إِلَى معنى اللَّذَّة ويجهل أَنَّهَا رَاحَة من ألم.

وَهَذَا الْمَعْنى إِذا لَاحَ للْعَالم بِهِ وتبينه لم يشتق إِلَى اللَّذَّة بتة وَصَارَ قصاراه إِذا آلمه الْجُوع أَن يداويه بالدواء الَّذِي يُسمى الشِّبَع لَا أَنه يَقْصِدهُ اللَّذَّة نَفسهَا بل يرى اللَّذَّة شَيْئا تَابعا لغرضه لَا أَنَّهَا مَقْصُودَة الأول وَلذَلِك يزهد الْعَالم فِي الْأَشْيَاء الْبَدَنِيَّة أَعنِي الدُّنْيَوِيَّة وَهِي مَا يتَّصل بالحواس وَتسَمى لذيذة.

فَأَما الْجَاهِل فَلِأَنَّهُ يعْتَرض لَهُ مَا ذكرْنَاهُ بِالضَّرُورَةِ صَار يَقع فِيهِ دَائِما فَيحصل فِي هموم وآلام وامراض لَا نِهَايَة لَهَا. وعاقبه جَمِيع ذَلِك النَّدَم

والأسف.

**١١٢-(لم صَار بعض الْأَشْيَاء تَمَامه أَن يكون غضاً طرياً وَلَا يستحسن وَلَا يستطاب إِلَّا كَذَلِك)**

وَبعض الْأَشْيَاء لَا يخْتَار وَلَا يستحسن إِلَّا إِذا كَانَ عتيقاًقَدِيما قد مر عَلَيْهِ الزَّمَان وَلم لم تكن الْأَشْيَاء كلهَا على وَجه وَاحِد عِنْد النَّاس وَمَا السَّبَب فِي انقسامها على هذَيْن الْوَجْهَيْن فَفِيهِ سر.

لما كَانَت كمالات الْأَشْيَاء الْمُخْتَلفَة أَعنِي ان بَعْضهَا تتمّ صورته وَهُوَ أَن الْعلم لَهُ الْإِنْسَان من حَيْثُ هُوَ إِنْسَان لِأَنَّهُ إِنَّمَا صَار إنْسَانا بصورته الَّتِي ميزته عَن غَيرهأَعنِي النَّبَات والجماد والبهائم.

حد الْإِنْسَان:إِنَّه حَيّ نَاطِق مائتفميز بالنطق أَعنِي بالتمييز وَبَينه وَبَين غَيره دون تخطيطه وشكله وَسَائِر أغراضه ولواحقه.وَإِذا كَانَ هَذَا الْمَعْنى من الْإِنْسَان هُوَ مَا صَار بِهِ إنْسَانا فَكلما كثرت إنسانيته كَانَ أفضل فِي نَوعه.

**١١٣-(لم صَار الْإِنْسَان إِذا صَامَ أَو صلى زَائِدا عَن الْفَرْض الْمُشْتَرك فِيهِ حقر غَيره)**

واشتط عَلَيْهِ وارتفع على مَجْلِسه وطارت النعرة فِي أَنفه حَتَّى كَأَنَّهُ صَاحب الْوَحْي أَو الواثق بالمغفرة، والمُنفرد بِالْجنَّةِ. وَهُوَ مَعَ ذَلِك يعلم أَن الْعَمَل معرض للآفات وَبهَا يحبط ثَوَاب صَاحبه وَلِهَذَا قَالَ الله -تَعَالَى {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا}

أَي أَن صَاحبه يلْتَمس من غَيره أَن يذعن لَهُ بِتِلْكَ الْفَضِيلَة ويعرفها لَهُ.فَإِذا لم يعرفهَا تحرّك ضروب الْحَرَكَة المضطربة وَلِهَذَا صدق الْقَائِل: مَا تكبر أحد إِلَّا عَن ذلة يجدهَا فِي نَفسه.

كل من استشعر فِي نَفسه فَضِيلَة وَكَانَ هُنَاكَ نُقْصَان من وَجه آخر وخشى أَن تنكتم تِلْكَ الْفَضِيلَة أَو لَا يعرفهَا غَيره مِنْهُ عرض لَهُ عَارض الْكبر وَإِن لم يعرف لَهُ ذَلِك لم يلتسمه من غَيره وَلم يكترث لجهل غَيره بِهِ.

وَلأَجل محبَّة الْكَرَامَة تعرض قوم للمتالف وَعرض لقوم الصلف ولآخرين الْهَرَب من النَّاس إِلَى غير ذَلِك من المكاره.

وَالَّذِي يجب على الْعَاقِل هُوَ أَن يلْتَمس الْفَضَائِل فِي نَفسه ليصير بهَا على هَيْئَة كَرِيمَة ممدوحة فِي ذَاته أكْرم أم لم يكرم وَعرف ذَلِك لَهُ أم لم يعرف. وَيجْعَل مِثَاله فِي ذَلِك الصِّحَّة فَإِن الصِّحَّة تطلب لذاتها ويحرص الْمَرْء عَلَيْهَا ليصير صَحِيحا حسب لَا ليعتقد فِيهِ ذَلِك وَلَا ليكرم عَلَيْهَا. وَكَذَلِكَ إِذا جعلت لَهُ صِحَة النَّفس بِحُصُول الْفَضَائِل لَا يَنْبَغِي أَن يطْلب من النَّاس أَن

يكرموه لَهَا وَلَا أَن يعتقدوا فِيهِ ذَلِك. وَمَتى خَالف هَذِه الْوَصِيَّة وَقع فِي ضروب من الجهالات الَّتِي أَحدهَا الْكبر وَالْحَالة الَّتِي وصفت.
وَالنَّاس على تفَاوت عَظِيم فِي الْموضع الَّذِي سَأَلت عَنهُ وتعجبت مِنْهُ.
وَذَلِكَ أَن مِنْهُم الْمُحب للثروة واليسار وَمِنْهُم الْمُحب للكرامة والجاه فَأَما محب الثروة فقد يحب الجاه والكرامة وَلَكِن ليكتسب بهما مَالا. وَأما محب الجاه والكرامة فقد يحب المَال والثروة وَلَكِن ليكتسب جاهاً وينال كَرَامَة.
وكل طَائِفَة من هَاتين الطَّائِفَتَيْنِ تزْعم أَنَّهَا هِيَ الكيسة وَأَن صاحبتها هِيَ الغافلة البلهاء. وَالصَّحِيح من ذَلِك ان كل وَاحِد مِنْهُمَا يُنَازع إِلَى أَمر طبيعي وَإِن كَانَ قد مَال السَّرف بهما جَمِيعًا إِلَى الإفراط وَذَاكَ أَن المَال يَنْبَغِي أَن يعتدل فِي طلبه ويكتسب من وَجهه ثمَّ يُنْفق فِي مَوْضِعه. فَمَتَى قصر فِي أحد هَذِه الْوُجُوه صَار شَرها وأورث ذلة وَكسب بخلا وإثماً.
وَأما الْكَرَامَة فَيَنْبَغِي أَن تكون فِي الْإِنْسَان فَضِيلَة يسْتَحق بهَا لِأَن يكرم لَا أَن تطلب الْكَرَامَة بالعسف أَو بِالْكبرِ
وَكَانَت الْكَرَامَة تَابِعَة للفضيلة فالكرامة أشرف من المَال تتبعه
وَبِالْجُمْلَةِ فَإِن المَال لَيْسَ بمطلوب لذاته بل هُوَ آلَة يُوصل بِهِ إِلَى المآرب والأشجان الْكَثِيرَة
فَأَما الْكَرَامَة فتطلب لذاتها إِذا كَانَ الطَّالِب لَهَا من جِهَة الِاسْتِحْقَاق بالفضيلة وَذَلِكَ لما تحصل عَلَيْهِ النَّفس من الالتذاذ الروحاني وَالسُّرُور النفساني.
فَأَما قَوْلك إِنَّك تَجِد محبي المَال أَكثر من محبي الْكَرَامَة فَكَذَا يجب أَن يكون لِأَن أَكثر النَّاس هم الَّذين يشبهون الْبَهَائِم وَإِنَّمَا يتَمَيَّز الْقَلِيل مِنْهُم بالفضائل فَكَمَا أَن المتميزين بفضائل النَّفس الناطقة من الْقَلِيل فَكَذَلِك المتميزون بفضائل النَّفس الغضبية أقل من الْجُمْهُور.
**١١٤ -( مَا بَال خَاصَّة الْملك والدانين مِنْهُ والمقربين إِلَيْهِ لَا يجْرِي من ذكر الْملك على ألسنتهم مثل مَا يجْرِي على أَلْسِنَة الأباعد مِنْهُ)**
الْأَقْرَبين إِلَى الْمُلُوك هم المؤدبون المستصلحون لخدمتهم.وَفِي جملَة الْآدَاب الَّتِي أخذُوا بهَا ترك ذكر الْملك فَإِن فِي ذكرهم إِيَّاه ابتذالاً لَهُ وانتهاكاً لهيبته وهتكاً لِحُرْمَتِهِ فَأَما أُولَئِكَ الطَّبَقَة فلسوء آدابهم لَا يميزون وَلَا يأبهون لما ذكرته فهم يجرونَ على طباع الْعَامَّة اللائقة بهم فِي الافتخار بِمَا لَا أصل لَهُ وادعاء مَا لَا حَقِيقَة لَهُ ولظنهم أَنهم ينالون بذلك كَرَامَة

**١١٥-س: أماالإِدْرَاك الْعقلِيّ فَلَيْسَ يحْتَاج إِلَى شَيْء من الْحَواس بل لِلْعَقْل نَفسه**قُوَّة ذاتية بهَا يدْرك الأَشْيَاء المعقولة. وَالْكَلَام على هَذَا الإِدْرَاك أَلطف وأغمض من الْكَلَام فِي الإِدْرَاك الْحسي.

إِن الْفضل يُنَبه على نَفسه وَلَيْسَحَاجَة إِلَى تَنْبِيه الإِنْسَان عَلَيْهِ من نَفسه. وَذَاكَ أَن الْفَضَائِل الَّتِي هِيَ بِالْحَقِيقَةِ فَضَائِل تشرق إشراق الشَّمْس وَلَا سَبِيل إِلَى إخفائها لَو رام صَاحبهَا ذَلِكوَأما الشَّيْء الَّذِي يظنّ أَنه فَضِيلَة وَلَيْسَ كَذَلِك فَهُوَ الَّذِي يخفى.

فَإِذا تعاطى الإِنْسَان مدح نَفسه وَإِظْهَار فضيلته بِالدَّعْوَى تصفحت الْعُقُول دَعْوَاهُ فَبَان عواره وَظهر الْموضع الَّذِي يغلط فِيهِ من نَفسهفَإِن اتّفق أَن يكون صَادِقا وَكَانَت فِيهِ تِلْكَ الْفَضِيلَة فَإِنَّمَا يدل بتكلف إظهارها على أَنَه غير واثق بآراء النَّاس وتصفحهم أَو هُوَ واثق وَلكنه يتبجح عَلَيْهِم ويفخر.

فَأَما الإِنْسَان الْكَبِير الهمة فَإِنَّهُ يسْتَقلّ لنَفسِهِ مَا يكون فِيهِ من الْفَضَائِل لسموه إِلَى مَا هُوَ أَكثر مِنْهُ وَلِأَن الْمرتبَة الَّتِي تحصل للْإنْسَان من الْفضل وَإِن كَانَت عالية فَهِيَ نزر يسير بِالْإِضَافَة إِلَى مَا هُوَ أَكثر مِنْهُ.

**١١٦-( لم صَار الْحَظ يثقل على الإِنْسَان)**

وَلما كَانَ الإِنْسَان ميله بالطبع إِلَى تعجل الشَّهَوَات غير نَاظر فِي أعقاب يَوْمه وَإِلَى الهويني والراحة فِي عَاجل الْيَوْم دون مَا يكسب الرَّاحَة طول الدَّهْر -

وَهَذِه حَال لَازِمَة للْإنْسَان مُنْذُ الطفولة فَإِن أثقل الأَشْيَاء عَلَيْهِ منع وَالِديهِ مأربه وَأَخذهمَا إِيَّاه بلف الأَعْمَال النافعة ثمَّ إِذا كمل صَار أثقل النَّاس عَلَيْهِ طبيبه ومعالجه ونصيحه فِي المشوروسلطانه الَّذِي يَأْخُذهُ بمنافعه ومصالحه. وَهَذِه حَال النَّاس المنقادين لشهواتهم المتبعين لأهوائهم.

**١١٧-مَا السَّبَب فِي خجل النَّاظر إِلَيْهِ، وحياء الْوَاقِف عَلَيْهِ**

إِن الْحيَاء هُوَ انحصار يلْحق النَّاس خوفًا من قَبِيح.فَإِذا كَانَ هَذَا هُوَ الْحيَاء فَإِن الإِنْسَان إِذا كَانَ بِسَبَب من الْمُتَكَلّم لحق نَفسه من الْعَارِض قريب مِمَّا يلْحق الْمُتَكَلّم لِأَنَّهُ يخشي من وُقُوع أَمر قَبِيح مِنْهُ أَو كَلَام يعاب عَلَيْهِ مثل مَا يخشاه الْمُتَكَلّم.

**١١٨- مَا عِلّة كَرَاهِيَة النَّفس الحَدِيث الْمعَاد**

إِن النَّفس تَأْخُذ من الأَخْبَار المستطرفة وَالأَحَادِيث الغريبة عِنْدهَا شَبِيها بِمَا يَأْخُذهُ من أقواته وَمَا حصلته النَّفس من المعارف والعلومفإعادته عَلَيْهَا بِمَنْزِلَة الْغذَاء من الْجِسْم الَّذِي اكتفى مِنْهُفَإِذا أُعِيد عَلَيْهِ غذَاء هُوَ الأول ثقل عَلَيْهِ واستعفى مِنْهُ.فَكَذَلِك حَال النَّفس فِي المعارف

**١١٩ ـس:هَل يجوز أَن ترد الشَّرِيعَة من قبل الله تَعَالَى ـ بِمَا يأباه الْعقل وَيُخَالِفهُ** ويكرهه وَلَا يُجِيزهُ كذبح الْحَيَوَانَات وكإيجاب الدِّيَة على الْعَاقِلَة؟

فالعلم بعيد السَّاحِل عميق الْغَوْر شَدِيد الموج

لَيْسَ يجوز أَن ترد الشَّرِيعَة من قبل الله ـ تَعَالَى ـ بِمَا يأباه الْعقل وَيُخَالِفهُ وَلَكِن الشاك فِي هَذِه الْمَوَاضِع لَا يعرف شَرَائِط الْعقل وَمَا يأباه. فَهُوَ ـ أبدا ـ يخلطه بالعادات ويظن أَن تأبى الطباع من شَيْء هُوَ مُخَالفَة الْعقل.

الْفرق بَين مَا يأباه الْعقل وَبَين مَا يأباه الطَّبْع ويتكرهه الْإِنْسَان بِالْعَادَةِ

فَنَقُول:إِن الْعقل إِذا أَبى شَيْئا فَهُوَ أبدى الإباء لَهُ لَا يجوز أَن يتَغَيَّر فِي وَقت وَلَا يصير بِغَيْر تِلْكَ الْحَال.وَهَكَذَا جَمِيع مَا يستحسنه الْعقل أَو يستقبحه.

<u>وَبِالْجُمْلَةِ فَإِن جَمِيع قضايا الْعقل هِيَ أبدية وَاجِبَة على حَال وَاحِدَة أزلية لَا يجوز أَن يتَغَيَّر عَن حَاله.</u>

<u>فاما أَمر الطَّبْع وَالْعَادَة فقد يتَغَيَّر بِتَغَيُّر الْأَحْوَال والأسباب وَالزَّمَان والعادات</u>وأعني بِقَوْلِي الطَّبْع طبع الْحَيَوَان وَالْإِنْسَان لَا الطبيعة الْمُطلقَة الأولى

والجزار بل مشاهدي الحروب يهون عَلَيْهِم مَا يصعب على غَيرهم.

وَالْحَرَكَة نَفسهَا هِيَ تغير الْأَشْيَاء المتحركة إِذْ كلهَا متغيرة. وَكَذَلِكَ الزَّمَان وَمَا تعلق بِهِ هُوَ يتَغَيَّر بتغيره



**١٢٠ ـمَا معنى سُكُون النَّفس الفاضلة إِلَى الصدْق ونفورها عَن الْكَذِب**

أَن النَّفس إِنَّمَا تتحرك حركتها الْخَاصَّة بهَا ـ أَعنِي إجالة الروية ـ طلبا للحق لتصيبه.وَلَوْلَا طلبهَا لما تحركت

وَلَوْلَا حركتها هَذِه لما كَانَت حَيَّة تفِيد الْجِسْم أَيْضا الْحَيَاة.فَالنَّفْس بِهَذِهِ الْحَرَكَة الدائمة الذاتية حَيَّة. بل الْحَيَاة هِيَ هَذِه الْحَرَكَة من النَّفس وَهِي ذاتية لَهَا كَمَا قُلْنَا.

لَا تقدر ان تعطلها من الروية والفكر لَحْظَة وَاحِدَة لِأَنَّهَا ـ أبدا ـ<u>إِمَّا مروية جائلة فِي المحسوس أَو مروية جائلة فِي الْمَعْقُول بِلَا فتور أبدا.</u>

<u>وَلَا تزَال تتحرك حَتَّى تصيب الْحق من الْوُجُوه الَّتِي تمكن إصابته مِنْهَا.</u>

<u>فَإِذا أَصَابَته سكنت لِأَن غَايَة كل متحرك أَن يسكن عِنْد بُلُوغهالْغَايَة الَّتِي تحرّك إِلَيْهَا.</u>

**١٢١ ـس:لم صَار الْحَيَوَان يتَوَلَّد فِي النَّبَات وَلَا يتَوَلَّد النَّبَات فِي الْحَيَوَان أَي قد تتولد الدودة فِي الشَّجَرَة وَلَا تنْبت شَجَرَة فِي حَيَوَان.**

إِن الْحَيَوَان يحْتَاج فِي وجوده إِلَى وجود النَّبَات والنبات لَا يحْتَاج فِي وجود إِلَى وجود الْحَيَوَانالسَّبَب فِي ذَلِك أَن الْحَيَوَان أَكثر تركيباً من النَّبَات لِأَنَّهُ مركب مِنْهُ وَمن جَوَاهِر أخر أَعنِي النَّفس الحيوانية <u>وَلذَلِك يكون الْحَيَوَان</u>

فِي أول تكونه نباتاً ثمَّ تحصل من بعد حَرَكَة الْحَيَوَان. وَحُصُول أثر النَّفس فِي الْإِنْسَان إِنَّمَا يكون بعد أَن تستتم فِي الرَّحِم صُورَة النَّبَات. وَيكون استمداده الْغذَاء بِهِ هُنَاكَ بعروق مُتَّصِلَة برحم أمه شَبيهَة بعروق النَّبَات حَتَّى إِذا استكمل أَيْضا صُورَة الْحَيَوَان وحصلت لَهُ النَّفس الحيوانية تقطعت تِلْكَ الْعُرُوق وَهُوَ الطلق الَّذِي يلْحق الْأُم ويحرك الْوَلَد لِلْخُرُوجِ. فَإِذا خرج وتنفس فِي الْهَوَاء فتح فَمه واغتذى بِهِ.وَلَا يزَال تكمل فِيهِ صُورَة الْحَيَوَان إِلَى أَن يقبل أثر النَّفس الناطقة ثمَّ يكمل بهَا وَيصير إنْسَانا بقدرة الله –تَعَالَى ولطف حكمته جلّ اسْمه

فالنبات كَمَا ذكرنَا أبسط وأقدم أَعنِي أَنه لَا يحْتَاج فِي وجوده إِلَى وجود الْحَيَوَانفَهُوَ يَكْتَفِي بمادته من الأَرْض والهواء وَالْمَاء والحرارة الَّتِي تَأتيه من الشَّمْس حَتَّى يتم وَيحصل وجوده.

فَأَالْحَيَوَان فَلَا يَكْتَفِي بِتِلْكَ الْأَشْيَاء حَتَّى تنضاف إِلَيْهَا مَادَّة أُخْرَى تغذوه إِذْ كَانَ لَا يَكْتَفِي بالبسائط من المَاء وَالْأَرْض والهواء وَيحْتَاج إِلَى النَّبَات حَتَّى يغذوه ويكمل وجوده ويحفظ عَلَيْهِ قوامه.

فَإِذا كَانَ وجوده وقوامهبالنبات جَازَ أَن يتَوَلَّد فِيهِ.وَلما كَانَ وجود النَّبَات يتم بِغَيْرِهِ وَلَا يحْتَاج إِلَيْهِ لم يتَوَلَّد فِيهِ.

**١٢٢ـس: لم صَار من يطرب لغناء ويرتاح لسَمَاع يمد ويحرك رَأسه وَرُبمَا قَامَ وجال ورقص ونعر صرخ وَرُبمَا عدا وهام**



وَلَيْسَ هَكَذَا منخَاف فَإِنَّهُ يقشعر ويتقبض ويواري شخصه ويغيب أَثَره ويخفض صَوته ويقل حَدِيثه؟

سَبَب السرُور وَالْغَم حَيْثُ قُلْنَا: إِن النَّفس عِنْد السرُور تبسط الدَّم فِي الْعُرُوق إِلَى ظَاهر الْبدن وَإِنَّهَا عِنْد الْغم تحصره وبانحصار الْحَرَارَة إِلَى عمق الْبدن وَإِلَى منشئها من الْقلب

وَلذَلِك يتنفس الْإِنْسَان عِنْد الْغم تنفساً شَدِيدا كثيرا لحَاجَة الْقلب إِلَى هَوَاء يخرج عَنهُ الفضلة الدخانية الَّتِي فِيهِ ويجلب لَهُ هَوَاء آخر صافياً

وكما أَن الْأَدْوِيَة والأغذية يعرض مِنْهَا للمزاج هَذَا الْعَارِض وتتبعه حَرَكَة النَّفس فَكَذَلِك الحَدِيث والألحان وَصَوت الْآلَات من الأوتار والمزامير - تحرّك النَّفس أَيْضا وَيتبع ذَلِك حَرَكَة مزاج الْبدن لإتصال المزاج بِالنَّفسِ .

وَلِأَنَّهُمَا متلازمان يُؤثر أَحدهمَا فِي الآخر وَيتبع فعل أَحدهمَا فعل الآخر.

**١٢٣ـ( لم صَار الْكَذَّاب يصدق كثيرا والصادق يكذب نَادرا وَهل يَنْتَقِل إِلْف الصدْق إِلَى الْكَذِب)**

إِن الصدْق وَالْكذب يجريان من النَّفس مجْرى الصِّحَّة وَالْمَرَض لِأَن

الصدْق لَهَا صِحَة مَا وَالْكذب مرض مَاوَأَيْضًا فَإِن الصدْق من الْخَبَر يجْرِي مجْرى الصِّحَّة وَالْكذب مِنْهُ يجْرِي مجْرى الْمَرَض.فَكَمَا أَن الصِّحَّة من الْجِسْم أَكثر من الْمَرَض لِأَن الْمَرَض إِنَّمَا يكون فِي عُضْو أَو عضوين أَو ثَلَاثَة فَكَذَلِك الصِّحَّة فِي النَّفس أَكثر من الْمَرَض لِأَن الْمَرَض إِنَّمَا يكون مِنْهَا فِي قُوَّة أَو قوتين وَفِي خلق أَو خلقين.

وَلما كَانَ الْكَذِب يُعْطِيهَا صُورَة مشوهة أَي صُورَة الشَّيْء على خلاف مَا هُوَ بِهِ صَار الْمُعْطِي والمعطي مريضين بِهِ وَلذَلِك لَا يتَكَلَّف أحد ذَلِك وَلَا يتعمده إِلَّا لضَرُورَة دَاعِيَة أَو لِأَنَّهُ يظنّ بذلك لِلْكَ أَنه نَافِع لَهُ أَيْضا كَمَا ينفع السم الْجِسْم فِي بعض الْأَحْوَال فيتجشم هَذِه السماجة على استكراه من نَفسه وَرُبمَا تكَرر مِنْهُ ذَلِك فَصَارَ عَادَة كَمَا تصير سَائِر القبائح أَخْلَاقًا وعادات

هَل يَنْتَقِل من اعْتَادَ الصدْق على الْكَذِب أَو من ألف الْكَذِب إِلَى الصدْق فلولا ان ذَلِك مُمكن ومشاهد فِي النَّاس لما وضعت السّنَن وَلَا قوم الْأَحْدَاث وَلَا عني النَّاس بتأديب أَوْلَادهم

**١٢٤-( مَا الْفرق بَين العرافة وَالْكهَانَة والتنجيم والطرق**

العراف يخبر عَن الْأُمُور الْمَاضِيَة والكاهن يخبر بالأمور الْمُسْتَقْبلَة.

وَذَلِكَلِأَن العرافة معرفَة الْآثَار وَالِاسْتِدْلَال مِنْهَا على مؤثرها.

وَالْكهَانَة هِيَ قُوَّة فِي النَّفس تطالع الْأُمُور الكائنة بتخلّيها عَن الْحَواس.

وَأما الْفرق بَين التنجيم وَمَا يجْرِي مجْرى الفأل فَظَاهر لِأَن التنجيم صناعَة تتعرف بهَا حركات الْأَشْخَاص الْعَالِيَة وتأثيرها فِي الْأَشْخَاص السفلية. وَهِي صناعَة طبيعية وَإِن كَانَ قد حمل أَكثر من طاقتها أَعنِي أَن المنجم رُبمَا تضمن الْعلم من جزئيات الْأُمُور ودقائقها لَا يُوصل إِلَيْهِ بِهَذِهِ الصِّنَاعَة فيخبر بالكائنات على طَرِيقَة تَأْثِير الشَّيْء فِي مثله وَذَلِكَ ان الشَّمْس إِذا تحركت فِي دورة وَاحِدَة من أدوارها أثرت فِيهَا ضروباً من التَّأْثِير فِي هَذَا الْعَالم وَكَذَلِكَ كل كَوْكَب من الْكَوَاكِب لَهُ أثر بحركته ودورته وشعاعه الَّذِي يصل إِلَى عالمنا هَذَا.

فالمنجم إِنَّمَا يَقُول مثلاإِن السّنة الْآتِيَة تَجْتَمِع فِيهَا دَلَائِل الشَّمْس وزحل فتؤثر فِي عالمنا هَذَا أثرا مركبا من طبيعتي هَاتين الحركتين فَتكون حَال الْهَوَاء كَيْت وَكَيْت. وَكَذَلِكَ حَال الاستقصات الْأَرْبَع. وَلما كَانَ الْحَيَوَان والنبات مركبين من هَذِه الطبائع وَجب أَن يكون كل مَا أثر فِي بسائطها يُؤثر أَيْضا فِي المركبات مِنْهَا. والمنجم يخبر بِحَسب مَا يحْسب من حركاتها وشعاعاتها الْوَاصِل إِلَيْنَا آثارها حكما طبيعياً وَإِن كَانَيغلط أَحْيَانًا بِحَسب

دقة نظره وَكَثْرت الحركات والمناسبات الَّتِي تَجْتَمِع من جملَة الأفلاك وَالْكَوَاكِب

فَأما أَصْحَاب الفأل وزجر الطير وطرق الْحَصَى وَمَا أشبه ذَلِك فَإِنَّهَا ظنون والصدق فِيهَا يكون على طَرِيق الِاتِّفَاق والنادر وَلَيْسَ تستند إِلَى أصل وَلَا يقوم عَلَيْهَا دَلِيل لِأَنَّهَا لَيست طبيعية وَلَا نفسانية وَلَا إلهية وَإِنَّمَا هِيَ اختيارات بِحَسب الأوهام والظنون وَهِي تكذب كثيرا وَتصدق قَلِيلا

**١٢٥ -(لم صَارَت أَبْوَاب الْبَحْث عَن كل شَيْء مَوْجُود أَرْبَعَة)**

وَهِي: هَل وَالثَّانِي مَا وَالثَّالِث أَي وَالرَّابِع لم الْجَواب: قَالَ أَبُو عَليّ لِأَن هَذِه الْأَشْيَاء الْأَرْبَعَة هِيَ مبادىء جَمِيع الموجودات وعللها الأول. والشكوك إِنَّمَا تعرض فِي هَذِه فَإِذا أحيط بهَا لم يبْق وَجه لدُخُول شكّ. وَذَلِكَ أَن المبدأ الأول فِي وجود الشَّيْء هُوَ ثبات ذَاته أَعنِي هويته الَّتِي يبْحَث عَنْهَا بهل فَإِذا شكّ إِنْسَان فِي هوية الشَّيْء أَي فِي وجود ذَاته لم يبْحَث عَن شَيْء آخر من أمره.

فَإِذا زَالَ عَنهُ الشَّك فِي وجوده وَأثبت لَهُ ذاتاً وهوية جَازَ بعد ذَلِك أَن يبْحَث عَن الْمَبْدَأ الثَّانِي من وجوده وَهُوَ صورته أَعنِي نَوعه الَّذِي قومه وَصَارَ بِهِ هُوَ مَا هُوَ وَهَذَا هُوَ الْبَحْث بِمَا لِأَن مَا هِيَ بحث عَن النَّوْع وَالصُّورَة المقومة. فَإِذا حصل الْإِنْسَان فِي الشَّيْء المحجوب عَنهُ هذَيْن وهما: الْوُجُود الأول والهوية الَّتِي بحث عَنْهَا بهل والوجود الثَّانِي وَهُوَ النوعية أَعنِي الصُّورَة المقومة الَّتِي بحث عَنْهَا بِمَا –

جَازَ أم يبْحَث عَن الشَّيْء الَّذِي يميزه من غَيره أَعنِي الْفَصْل وَهَذَا هُوَ المبدأ الثَّالِث لِأَن الَّذِي يميزه من غَيره هُوَ الَّذِي يبْحَث عَنهُ بِأَيّ أَعنِي الْفَصْل الذاتي لَهُ فَإِذا حصل من الشَّيْء المبحوث عَنهُ هَذِه المبادىء الثَّلَاثَة لم يبْق فِي أمره مَا يَعْتَرِضهُ شكّ وَصَحَّ الْعلم بِهِ إِلَّا حَال كَمَاله

وَالشَّيْء الَّذِي من أَجله وجد وَهَذِه الْعلَّة الأخيرة الَّتِي تسمى وأرسطاليس هُوَ أول من نبه عَلَيْهَا واستخرجها وَذَاكَ أَن الْعِلَل الثَّلَاث هِيَ كلهَا خوادم وَأَسْبَاب لهَذِهِ الْعلَّة الأخيرة وَكَأَنَّهَا كلهَا إِنَّمَا وجدت لَهَا ولأجلها. وَهَذِه الَّتِي يبْحَث عَنْهَا بلم. فَإِذا عرف لم وجد وَمَا غَرَضه الْأَخير أَعنِي الَّذِي وجد من اجله انْقَطع الْبَحْث وَحصل الْعلم التَّام بالشَّيْء وزالت الشكوك كلهَا فِي أمره وَلم يبْق وَجه تتشوقه النَّفس بالروية فِيهِ والشوق إِلَى مَعْرفَته لِأَن الْإِحَاطَة بِجَمِيعِ علله ومبادئه وَاقعَة حَاصِلَة وَلَيْسَ للشَّكّ وَجه يتَطَرَّق إِلَيْهِ فَلذَلِك صَارَت البحوث أَرْبَعَة لَا أقل وَلَا أَكثر.

**١٢٦ -( مَا الْمَعْدُوم وَكَيف الْبَحْث عَنهُ)**

لَا نتوهم شَيْئا مَعْدُوما إِلَّا نتصور لَهُ حَالا قد وجد فِيهَا أَو يُوجد فِيهَا
وَصورته تِلْكَ قَائِمَة فِي وهمنا وَهِي وجود مَا. فَأَما الْمَعْدُوم الْمُطلق الَّذِي
لَا يسْتَند إِلَى شخص مَا وَلَا إِلَى عرض فِيهِ وَحَال لَهُ فَإِنَّهُ لَا يضْبط بوهم
وَلَا يتَكَلَّم عَلَيْهِ وَلَا تصح مَسْأَلَة أحد عَنهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْء على الْإِطْلَاق.وَإِنَّمَا
تصح الْمَسْأَلَة عَن شَيْء ثمَّ تعرف لَهُ أَحْوَال إِمَّا حَاضِرَة فِيهِ أَو منتظرة لَهُ
وَلذَلِك زعم أَكثر الْمُتَكَلِّمين أَن الْمَعْدُوم هُوَ شَيْء وَزعم بَعضهم أَنه لَا
شَيْء أَعنِي أَنهم لَا يسمونه بِشَيْء
لِأَن مِنْهُم من لحظه من حَيْثُ الْوَهم وَمِنْهُم من لحظه من حَيْثُ الْحس. فَمن
لحظه فِي وهمه أثبته شَيْئا وَمن لحظه من حسه لم يُثبتهُ شَيْئا.

**١٢٧ -س يَقُول أَنا أفرح ببرء العليل على تدبيري وَأسر بذلك جدا. قلت لَهُ: فَمَا تعرف عِلّة ذَلِك**

وَمن شَأْن النَّفس إِذا تحركت نَحْو مَطْلُوب حَرَكَة قَوِيَّة فِي زمَان طَوِيل
بشوق شَدِيد ثمَّ ظَفرت بِهِ فرحت لَهُ ولحقها انبساط وسرور عَجِيب.

**١٢٨ -س : لم لم يتَّفق النَّاس فِي التَّعَامُل** على المثامنة بالياقوت والجوهر
أَو بِالنُّحَاسِ وَالْحَدِيد والرصاص دون الْفضة وَالذَّهَب وَمَا الَّذِي قصرهم
عَلَيْهِمَا مَعَ إِمْكَان غَيرهمَا أَن يقوم مقامهما وَيجْرِي مجراهما.
هَذَا فَإِنَّهُ كَانَ شَيْئا مِمَّا يبتل بِالْمَاءِ أَو يحترق بالنَّار أَو تفْسد صورته بعض
العناصر الْأَرْبَع لم يَأْمَن صَاحب التَّعَب الْكثير أَن يحصله ثمَّ يفقده عِنْده
فيضيع عمله وَلَا يصدق فِيمَا أعَان بِهِ وكد فِيهِ فَوَجَبَ أَن يكون هَذَا الطابع
حَافِظًا لصورته خَفِيف الْمحمل مَعَ ذَلِك مَأْمُونا عَلَيْهِ الْفساد مُدَّة طَوِيلَة من
الطبائع الْأَرْبَع وَمن الْفساد الَّذِي يكون بالمهنة أَيْضا كالكسر والرض
وَغَيرهمَا.وَلما تصفحت الموجودات لم يُوجد شَيْء يجمع هَذِه الْفَضَائِل إِلَّا
الْأَشْيَاء المعدنية وَمن بَين الْأَشْيَاء المعدنية الْجَوَاهِر الَّتِي تذوب بالنَّار
وتجمد بالهواء.وَمن بَين هَذِه الذَّهَب وَحده فَإِنَّهُ أبقاها وأعزها وأحفظها
لصورته وأسلمها على النَّار والهواء وَالْمَاء وَالْأَرْض وَهُوَ مَعَ ذَلِك سليم
على الْكسر وَالْقطع والرض يُعِيد صُورَة نَفسه بالذوب ويحفظها من جَمِيع
عوارض الْفساد زَمَانا طَوِيلا جدا.
فَإِذا أعْطى من هَذَا الْجَوْهَر قيمَة عمله ثمَّ احْتَاجَ إِلَى بقل أَو خلال أَو عرض
يسير لَا يَسْتَطِيع أَن يُعْطِيهِ شَيْئا من الْجَوْهَر الَّذِي عِنْده وَلَا أقل الْقَلِيل مِنْهُ
لِأَن الْجُزْء الْيَسِير جدا مِنْهُ أَكثر قيمَة من الْعَمَل الَّذِي يلتمسه من غَيره.
فاحتيج لذَلِك إِلَى جَوْهَر آخر تكون فضائله أنقص من الذَّهَب ليصير خَليفَة

لَهُ يعْمل عمله وَإِن كَانَ دونه فَلم يُوجد مَا يجمع تِلْكَ الْفَضَائِل الَّتِي حكيناها فِي الذَّهَب شَيْء غير الْفضة
فَجعلت نائبة عَنهُ ثمَّ جعل كل وَاحِد من الذَّهَب يُسَاوِي عشرَة أَضْعَافه من الْفضة

**١٢٩ -( مَتى تصل النَّفس بِالْبدنِ وَمَتى تُوجد فِيهِ أَفِي حَال مَا يكون جَنِيناً أم قبلهَا أم بعْدهَا؟)**

ظُهُور أثر النَّفس فِي الْبدن على قدر استعداد الْبدن وقبوله إِيَّاه.
إِن النُّطْفَة الَّتِي يكون مِنْهَا الْجَنِين إِذا حصلت فِي الرَّحِم الْمُوَافق كَانَ أول مَا يظْهر فِيهِ من أثر الطبيعة مَا يظْهر مثله فِي الْأَشْيَاء المعدنية أَعنِي أَن الْحَرَارَة اللطيفة تنضجه وتمخضه وتعطيه إِذا امتزج بِالْمَاءِ الَّذِي يُوَافقهُ من شَهْوَة الْأُنْثَى صُورَة مركبة كَمَا يكون ذَلِك فِي اللَّبن إِذا مزج بالإنفحة.
أَعنِي أَنه يثخن ويخثر ثمَّ تلح عَلَيْهِ الْحَرَارَة حَتَّى يصير ملوناً بالجمرة فَيصير مُضْغَة ثمَّ يستعد بعد لقبُول أثر آخر أَعنِي أَن المضغة تستمد الْغذَاء وتتصل بهَا عروق كعروق الشّجر والنبات فَيَأْخُذ من رحم أمه بِتِلْكَ الْعُرُوق مثلأَخذه عروق الشّجر من تربته فَيظْهر فِيهِ أثر النَّفس النامية أَعنِي النباتية ثمَّ يقوى هَذَا الْأَثر فِيهِ ويستحكم على الْأَيَّام حَتَّى يكمل
وَيَنْتَهِي بعد ذَلِك إِلَى أَن يستعد لقبُول الْغذَاء بِغَيْر الْعُرُوق أَعنِي أَنه ينْتَقل بحركته لتناول غذائه فَيظْهر فِيهِ أثر الْحَيَوَان أَولا أَولا فَإِذا كمل استعداده لقبُول هَذَا الْأَثر فَارق مَوْضِعه وَقبل أثر النَّفس الحيوانية ثمَّ لَا يزَال فِي مرتبَة الْبَهَائِم من الْحَيَوَان إِلَى أَن يصير فِيهِ استعداد لقبُول أثر النُّطْق أَعنِي التَّمْيِيز والروية فَحِينَئِذٍ يظْهر فِيهِ أثر الْعقل ثمَّ لَا يزَال يقوى هَذَا الْأَثر فِيهِ على قدر استعداده وقبوله حَتَّى يبلغ نِهَايَة دَرَجَته وكماله من الإنسانية ويشارف الدرجَة الَّتِي تعلو دَرَجَة الْإِنْسَان فيستعد لقبُول أثر الْملك. وَهَذَا الْكَلَام لَيْسَ يَقْتَضِي أَن يُقَال فِيهِ مَتى تتصل وتنفصل بل من شَأْن الْقَائِل لَهُ أَن يُقَال فِيهِ: مَتى يستعد وَيقبل. وَأما النَّفس فَهِيَ معطية للذات كل مَا قبل أَثَرهَا بِحَسب قبُوله واستعداده وتهيئه.

**١٣٠ -س سُئِلَ بَعضهم إِذا فَارَقت النَّفس الْجَسَد هَل تذكر من علومها شَيْئا أم لَا فَأجَاب** أَنَّهَا تذكر الْمَعْقُول كُله وَلَا تذكر المحسوس فَزَاد السَّائِل بِمَا يعرض للعليل من النسْيَان أَي كَيفَ تذكر النَّفس معقولها إِذا فَارَقت الْبدن وَهِي لَا تذكر شَيْئا مِنْهُ إِذا اعتل الْبدن أَو بعض أَعْضَاء الْبدن
إِنَّمَا يظْهر أثر النَّفس فِي الْبدن بِحَسب حَاجَة الْبدن والتذكر إِنَّمَا هُوَ إِحْضَار صور المحسوسات من قُوَّة التَّذكر إِلَى قُوَّة الخيال. وَهَاتَان القوتان جَمِيعًا

إِنَّمَا تحصلان صور المحسوسات من ٱلحَواس أَولا فِي حواملها من الأَجْسَام الطبيعية ثمَّ تحصلانها بسيطاً فِي غيرحَامِل جسمي بل فِي قُوَّة النَّفس ٱلمُسَمَّاة ذكرا.

فَإِذا اسْتَحَالَ ٱلبدن وزالت ٱلحَاجة إِلَى ٱلحَواس سَقَطت الْحَاجة إِلَى التكر أَيْضا وَصَارَت النَّفس مستغنية بذاتها وَمَا فِيهَا من صور ٱلعقل أَعنِي الَّتِي تمسى أَوَائِل لِأَن ثِلْكَ هِيَ ذَات ٱلعقل غير محتاجة إِلَى مَادَّة وَلَا إِلَى جسم تُوجد بِوُجُودِهِ أَعنِي أَن الأُمُور ٱلمَوْجُودَة فِي ٱلعقل هِيَ الْعقل وَهِي الَّتِي نسميها الآن أَوَائِل وَلَيْسَت فِي مَادَّة وَلَا محتاجة إِلَيْهَا. وَجَمِيع قوى النَّفس الَّتِي تتمّ بِالبدن وبآلات جسمية فَإِنَّهَا تبطل بِبُطْلَان ٱلبدن أَي تَسْتَغْنِي عَنْهَا النَّفس بِمَا هِيَ نفس وجوهر بسيطوَإِنَّمَا احْتَاجَت إِلَيْهِ لأجل حاجات ٱلبدن المشارك للنَّفس المستمد مِنْهَا ٱلبَقَاء الملائم لَهَا إِذا كَانَ نباتاً أَو حَيَوَانا أَو إِنْسَانا.

فَإِذا عَادَتْ ٱلجَوَاهِر إِلَى بسائطها بَطل ٱلفِعْل ٱلمركب أَيْضا بِبُطْلَان الآلَات المركبة واستغني ٱلجَوْهَر ٱلبَسِيط ٱلقَائِم بِذَاتِهِ عَن حاجات ٱلبدن وضروراته الَّتِي تمّ وجوده بهَا من حَيْثُ هُوَ مركب لأَجلهَا.

**١٣١ـلم صَارَت الأَنفس ثَلَاثًا فِي ٱلعدَد**



النَّفس فِي ٱلحَقِيقَة وَاحِدَة وَإِنَّمَا يظْهر أَثرهَا بِحَسب قبُول ٱلقَابِل.وَإِنَّمَا قيل إِنَّهَا ثَلَاث لِأَن من شَأْن الشَّيْء الَّذِي يبْدَأ أَثره ضَعِيفا ثمَّ يقوى غَايَة ٱلقُوَّة أَن يَنْقَسِم ثَلَاثَة أَقسَام أَعنِي الِابْتِدَاء والتوسط وَالنِّهَايَة.

وَلما كَانَ مبدأ أثر النَّفس فِي النَّبَات أَعنِي أَنه يظْهر فِيهِ معنى يقبل ٱلغذَاء ٱلمُوَافق وينفض الفضلة وَمَا لَيْسَ بموافق ويحفظ صورته بالنوع - سمي هَذَا الطّرف الأول نفسا نباتية.(الجنين)

ثمَّ لما قوى هَذَا الأمر حَتَّى صَار يَنْتَقِل لتناول غذائه وَصَارَت لَهُ حواس وَإِرَادَة سميت هَذِه ٱلمرتبَة: المتوسطة والحيوانية.(الطفل)

وَلما قوى هَذَا الأَثر حَتَّى صَار - مَعَ هَذِه الأَحْوَال - يرتئي ويفكر وَيسْتَعْمل التَّمْيِيز بِتَقْدِيم ٱلمُقدمَات واستنتاج النتائج ثمَّ يعْمل أَعماله بحسبها سمي ناطقاً وعاقلاً وَمَا أشبه ذَلِك. (البالغ)

**١٣٢ـ س(إِذا كَانَ المرئي لَا يدْرك إِلَّا بِآلَة وَتلك هِيَ ٱلحس)**

فَمَا تَقول فِيمَا يرَاهُ النَّائِم أَلم يُدْركهُ من غير حس وَلَا انبثاث شُعَاع وَلَا أَعمال آلَة

ٱلحَواس كلهَا ترتقي إِلَى قُوَّة يُقَال لَهَا الْحس ٱلْمُشْتَرك. وَهَذَا ٱلحس يقبل الآثَار من ٱلحَواس ويحفظها عَلَيْهَا فِي قُوَّة الَّتِي تعرف بالوهم.فَإِذا غَابَ المحسوس أحضرت هَذِه ٱلقُوَّة صُورَة ذَلِك المحسوس من ٱلوَهم سَوَاء كَانَ مرئياً أَو مسموعاً أَو غَيرهمَا من الصُّور المحسوسات.وَلَيْسَ يُمكن أَن يحصل فِي هَذِه ٱلقُوَّة شَيْء من الصُّور إِلَّا مَا قبلته وأخذته من الْحَواس

**١٣٣ـ مَا الدَّلِيل على وجود ٱلمَلائِكَة؟**

أما ٱلكتاب وَالسّنة فمملوءان من ذكر الْمَلَائِكَة وَأَنَّهَا خلق شريف لله ـتَعَالَى ـ وَلها مَرَاتِب متفاضلة وَأما ٱلعقل فَإِنَّهُ يُوجب وجودهَا من طَرِيق أَن العقل إِذا قسم شَيْئا وجد لَا محَالة إِلَّا أَن يمْنَع مِنْهُ محَال.

وَلِأَن الْعقل إِذا قسم ٱلجَوْهَر إِلَى ٱلحَيّ ـ قسم ٱلحَيّ مِنْهُ إِلَى النَّاطِق وَغير النَّاطِق وَقسم النَّاطِق مِنْهُ إِلَى المائت وَغير المائت فَيحصل من ٱلقِسْمَة أَرْبَعَة هِيَ: حَيّ نَاطِق مائت. وَحي غير نَاطِق غير مائت. وَحي نَاطِق غير مائتوَالْقسم الثَّالِث هم المسمون مَلَائِكَةوَهِي مُشْتَركَة فِي أَنَّهَا غير مائتة،

ومتفاضلة فِي النُّطْق.بِهَذَا التَّفَاضُل صَار بَعْضهَا أقرب إِلَى الله ـتَعَالَى ـ من بعض وَبِه أَيْضا صرنا ـ نَحن معاشر ٱلبشر متفاضلين فِي التَّقَرُّب إِلَى الله ـتَعَالَى ـ والبعد مِنْهُ ولأجله قيل:فلَان شَبيه بِملك وَفُلَان شَبيه بِشَيْطَان وبسببه قيل: فلَان عَدو الله وبسببه قيل: فلَان ولي الله وَفِي السب يُقَال: أبعد الله فلَانا ولعنه.وقرب الله فلَانا وَأَدْنَاهُوَقد يُمكن أَن يثبت وجود الْمَلَائِكَة من طَرِيق آثارها وأفعالها الظَّاهِرَة فِي هَذَا الْعَالم

**١٣٤ـ ٱلمذَاهب**

س إِذا كَانَ الْإِنْسَان على مَذْهَب من ٱلمذَاهب ثمَّ يَنْتَقِل عَنهُ لخطأ يتبينه فَمَا تنكر أَن يَنْتَقِل عَن ٱلمَذْهَب الثَّانِي مثل انْتِقَاله عَن الأول وَيسْتَمر ذَلِك بِهِ جَمِيع ٱلمذَاهب حَتَّى لَا يَصح لَهُ مَذْهَب وَلَا يتضح لَهُ حق.

لَو كَانَت الإقناعات ومراتبها مُتَسَاوِيَة فِي جَمِيع الآراء لما أنكرت مَا ذكرته وَلَكِنِّي وجدت مَرَاتِب الأَدِلَّة والإقناعات فِيهَا مُتَفَاوِتَة

فَمِنْهَا مَا يُسمى يَقِينا وَمِنْهَا مَا يُسمى دَلِيلا وَقِيَاسًا إقناعياً بِحَسب مُقَدمَات ذَلِك الْقيَاس وَمِنْهَا مَا يُسمى ظنا وتخيلاً وَمَا أشبه ذَلِك ـفأنكرت أَن تستوي الأَحْوَال فِي الآراء مَعَ تفَاوت القياسات ٱلمَوْضُوعَة فِيهَا.فَمن ذَلِك أَن ٱلقيَاس إِذا كَانَ برهانياً وَهُوَ أَن تكون مقدماته مَأْخُوذَة من أُمُور ضَرُورِيَّة وَكَانَ تركيبها صَحِيحا ـ حدثت مِنْهُ نتيجة يقينية لَا يعترضها شكّ وَلَا يجوز أَن يَنْتَقِل عَنهُ وَلَا يسوغ فِيهِ خطأ

**١٣٥ـالمخلوقات**

**الرازي**

اعْلَمْ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ: مُكَلَّفٌ وَغَيْرُ الْمُكَلَّفِ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُكَلَّفَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِ الْمُكَلَّفِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَصْنَافَ الْمُكَلَّفِ أَرْبَعَةٌ: الْمَلَائِكَةُ، وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَالشَّيَاطِينُ،

**أَمَّا الْمَلَائِكَةُ**

فَقَدْ رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُمْ مِنَ الرِّيحِ.

١ أَنَّهُمْ لِهَذَا السَّبَبِ قَدَرُوا عَلَى الطَّيَرَانِ

٢ لِهَذَا السَّبَبِ قَدَرُوا عَلَى حَمْلِ الْعَرْشِ، لِأَنَّ الرِّيحَ تَقُومُ بِحَمْلِ الْأَشْيَاءِ

٣ لِهَذَا السَّبَبِ سُمُّوا رُوحَانِيِّينَ، وَجَاءَ

فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنَ النُّورِ

وَلِهَذَا صَفَتْ وَأَخْلَصَتْ لِلَّهِ تَعَالَى

وَالْأَوْلَى أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَنَقُولُ: أَبْدَانُهُمْ مِنَ الرِّيحِ وَأَرْوَاحُهُمْ مِنَ النُّورِ

فَهَؤُلَاءِ هُمْ سُكَّانُ عالم السموات،

**أَمَّا الشَّيَاطِينُ**

فَهُمْ كَفَرَةٌ أَمَّا إِبْلِيسُ فَكُفْرُهُ ظَاهِرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ [الْبَقَرَةِ: ٣٤] وَأَمَّا سَائِرُ الشَّيَاطِينِ فَهُمْ أَيْضًا كَفَرَةٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [الْأَنْعَامِ: ١٢١] وَمِنْ خَوَاصِّ الشَّيَاطِينِ أَنَّهُمْ بِأَسْرِهَا أَعْدَاءٌ لِلْبَشَرِ

قَالَ: وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ [الْأَنْعَامِ: ١١٢]

وَمِنْ خَوَاصِّ الشَّيَاطِينِ كَوْنُهُمْ مَخْلُوقِينَ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْلِيسَ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [الْأَعْرَافِ: ١٢] وَقَالَ: وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ [الْحِجْرِ: ٢٧]

**فَأَمَّا الْجِنُّ**

فَمِنْهُمْ كَافِرٌ وَمِنْهُمْ مُؤْمِنٌ، قَالَ تَعَالَى: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً [الجن: ١٤]

**وأما الْإِنْسُ** فَلَا شَكَّ أَنَّ لَهُمْ وَالِدًا هُوَ وَالِدُهُمُ الْأَوَّلُ، وَإِلَّا لَذَهَبَ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ وَالْقُرْآنُ دَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْأَوَّلَ هُوَ آدَمُ

فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْبَشَرَ أَفْضَلُ أَمِ الْمَلَائِكَةُ،

تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا [الأعراف: ١١] وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْبَشَرَ أَفْضَلُ تَمَسَّكُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الِاصْطِفَاءَ يَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ الْكَرَامَةِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ،

**اصطفاء الانبياء**

وقيل إِنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونُوا مُخَالِفِينَ لِغَيْرِهِمْ فِي الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ، وَالْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ، أَمَّا الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةُ، فَهِيَ إِمَّا مُدْرِكَةٌ، وَإِمَّا مُحَرِّكَةٌ.

أَمَّا الْمُدْرِكَةُ: فَهِيَ إِمَّا الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ، وَإِمَّا الْحَوَاسُّ الْبَاطِنَةُ، أَمَّا الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ خَمْسَةٌ

**١ ـ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ**

وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْصُوصًا بِكَمَالِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ووجهان الْأَوَّلُ:

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»

وَالثَّانِي:

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي»

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْقُوَّةِ مَا حَصَلَ لِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الْأَنْعَامِ: ٧٥] ذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ تَعَالَى قَوَّى بَصَرَهُ حَتَّى شَاهَدَ جَمِيعَ الْمَلَكُوتِ مِنَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ لِأَنَّ الْبُصَرَاءَ يَتَفَاوَتُونَ فَرُوِيَ أَنَّ زَرْقَاءَ الْيَمَامَةِ كَانَتْ تُبْصِرُ الشَّيْءَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بَصَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْوَى مِنْ بَصَرِهَا



**٢ ـ الْقُوَّةُ السَّامِعَةُ**

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم أقوى الناس فِي هَذِهِ الْقُوَّةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا:

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى» فَسَمِعَ أَطِيطَ السَّمَاءِ

وَالثَّانِي:

أَنَّهُ سَمِعَ دَوِيًّا وَذَكَرَ أَنَّهُ هُوِيُّ صَخْرَةٍ قُذِفَتْ فِي جَهَنَّمَ فَلَمْ تَبْلُغْ قَعْرَهَا إِلَى الْآنَ،

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَلَا سَبِيلَ لِلْفَلَاسِفَةِ إِلَى اسْتِبْعَادِ هَذَا، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ فِيثَاغُورْثَ رَاضَ نَفْسَهُ حَتَّى سَمِعَ خَفِيفَ الْفَلَكِ،

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْقُوَّةِ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السلام في قصة النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ [النَّمْلِ: ١٨] فَاللَّهُ تَعَالَى أَسْمَعَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ وَأَوْقَفَهُ عَلَى مَعْنَاهُ

وَهَذَا دَاخِلٌ أَيْضًا فِي بَابِ تَقْوِيَةِ الْفَهْمِ، وَكَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَكَلَّمَ مَعَ الذِّئْبِ وَمَعَ الْبَعِيرِ

**٣-تَقْوِيَةُ قُوَّةِ الشَّمِّ**

كَمَا فِي حَقِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَمَرَ بِحَمْلِ قَمِيصِهِ إِلَيْهِ وَإِلْقَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ يَعْقُوبُ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ [يُوسُفَ: ٩٤]فَأَحَسَّ بِهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ

**٤ تَقْوِيَةُ قُوَّةِ الذَّوْقِ**

كَمَا فِي حَقِّ رَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الذِّرَاعَ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ»

**٥-تَقْوِيَةُ الْقُوَّةِ اللَّامِسَةِ**

كَمَا فِي حَقِّ الْخَلِيلِ حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يُسْتَبْعَدُ هَذَا وَيُشَاهَدُ مِثْلُهُ فِي السَّمَنْدَلِ وَالنَّعَامَةِ،

**وَأَمَّا الْحَوَاسُّ الْبَاطِنَةُ**

**فَمِنْهَا قُوَّةُ الْحِفْظِ** قَالَ تَعَالَى:سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى [الْأَعْلَى: ٦]

**وَمِنْهَا قُوَّةُ الذَّكَاءِ**

قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:«عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ وَاسْتَنْبَطْتُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ»

فَإِذَا كَانَ حَالُ الْوَلِيِّ هَكَذَا، فَكَيْفَ حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**وَأَمَّا الْقُوَى الْمُحَرِّكَةُ:**



فَمِثْلُ عُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمِعْرَاجِ، وَعُرُوجِ عِيسَى حَيًّا/ إِلَى السَّمَاءِ، وَعُرُوجِ إِدْرِيسَ وَإِلْيَاسَ عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ [النَّمْلِ: ٤٠] .

**وَأَمَّا الْقُوَى الرُّوحَانِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ:**

فَلَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ، وَنِهَايَةِ الصَّفَاءِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ الْقُدْسِيَّةَ النَّبَوِيَّةَ مُخَالِفَةٌ بِمَاهِيَّتِهَا لِسَائِرِ النُّفُوسِ، وَمِنْ لَوَازِمِ تِلْكَ النَّفْسِ الْكَمَالُ فِي الذَّكَاءِ، وَالْفِطْنَةِ، وَالْحُرِّيَّةِ، وَالِاسْتِعْلَاءِ، وَالتَّرَفُّعُ عَنِ الْجِسْمَانِيَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَإِذَا كَانَتِ الرُّوحُ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالشَّرَفِ، وَكَانَ الْبَدَنُ فِي غَايَةِ النقاء والطهارة كانت هذه القوى المحركة والمدركة فِي غَايَةِ الْكَمَالِ لِأَنَّهَا جَارِيَةٌ مَجْرَى أَنْوَارٍ فَائِضَةٍ مِنْ جَوْهَرِ الرُّوحِ وَاصِلَةٌ إِلَى الْبَدَنِ، وَمَتَى كَانَ الْفَاعِلُ وَالْقَابِلُ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ كَانَتِ الْآثَارُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشَّرَفِ وَالصَّفَاءِ.

**الزمن**

قل لى يا مولانا: كيف يكون الزمن نقطة؟ وكيف يكون المستقبل قد أتى فعلاً؟

قلت: اسمع يا سيدى، ألم يقل الله تعالى: «أتى أمر الله..»؟

رد: نعم.

قلت: والكون كله بين الأمر والخلق.

رد: مش فاهم!

قلت: ألم يقل الله «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ»؟

رد: نعم يا سيدى.

قلت: إذن الكون كله ما بين مخلوق ومأمور، فالله سبحانه خلق وأمر، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فالروح مثلاً من أمر الله، طبعاً أظنك تعرف الآية الكريمة «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى»، بعض الناس يظن أن الله لم يرد على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح بإجابة يوضح لنا فيها ماهية الروح، ولكنه فى الحقيقة شرحها لنا فقال «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى»، أى إن الروح تكوّنت طبيعتها بالأمر وليس بالخلق، أى إن الله أمرها فقال لها كونى فكانت، تماماً كما أمر السماء والأرض فقال لهما «ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»، الروح كذلك قال الله لها كونى فكانت، وكذلك الزمن قال الله له كن فكان.



رد محيَّراً: وما دخل هذا الموضوع كله فى القصة التى ستحكيها لى؟

قلت: أردت فقط أن أقول لك إن الزمن المقبل حدث فعلاً، فالله قال «أتى أمر الله» وأمر الله هنا هو الزمن المقبل، أى إن كل الأزمنة حدثت فعلاً، ولكن الله أراد أن يكون إحساسنا بالزمن يختلف عن الزمن نفسه، لذلك قال لنا الله «فلا تستعجلوه»، وما أردت أن أتحدّث معك عن الزمن إلا لكى أقول لك إن الله فتح علىَّ فرأيت الزمن المقبل الذى هو حدث فعلاً، فعرفت أمراً فى منتهى الخطورة، وما أردت شيئاً إلا أن أحكى لك ما سيحدث والذى هو حدث فعلاً.

**الرازى**

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُؤَثِّرٌ لَا يَقْبَلُ الْأَثَرَ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ أَشْرَفُ الْأَقْسَامِ، وَمُتَأَثِّرٌ لَا يُؤَثِّرُ، وَهُوَ الْقَابِلُ وَهُوَ الْجِسْمُ وَهُوَ أَخَسُّ الْأَقْسَامِ، وَمَوْجُودٌ يَقْبَلُ الْأَثَرَ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَيُؤَثِّرُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ الْجَوَاهِرُ الرُّوحَانِيَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ، وَهُوَ الْمَرْتَبَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ،

الرازى

اعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ مِنْهَا قَلْبِيَّةٌ، وَمِنْهَا لِسَانِيَّةٌ، وَمِنْهَا جَارِحِيَّةٌ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا قِسْمَانِ قِسْمٌ عُقِلَ مَعْنَاهُ وَحَقِيقَتُهُ وَقِسْمٌ لَمْ يُعْلَمْ

أَمَّا الْقَلْبِيَّةُ مَعَ أَنَّهَا أَبْعَدُ عَنِ الشَّكِّ وَالْجَهْلِ فَفِيهَا مَا لَمْ يُعْلَمْ دَلِيلُهُ عَقْلًا، وَإِنَّمَا وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالِاعْتِقَادُ سَمْعًا كَالصِّرَاطِ الَّذِي [هُوَ] أَرَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَيَمُرُّ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ وَالْمُوقِنُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَالْمِيزَانِ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي لَا ثِقَلَ لَهَا فِي نَظَرِ النَّاظِرِ وَكَيْفِيَّاتِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وُجُودُهَا لَمْ يُعْلَمْ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، وَإِنَّمَا الْمَعْلُومُ بِالْعَقْلِ إِمْكَانُهَا وَوُقُوعُهَا مَعْلُومٌ مَقْطُوعٌ بِهِ بِالسَّمْعِ وَمِنْهَا مَا عُلِمَ كَالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَقُدْرَةِ اللَّهِ وَصِدْقِ الرَّسُولِ،

وَكَذَلِكَ فِي الْعِبَادَاتِ الْجَارِحِيَّةِ مَا عُلِمَ مَعْنَاهُ وَمَا لَمْ يُعْلَمْ كَمَقَادِيرِ النُّصُبِ وَعَدَدِ الرَّكَعَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْحِكْمَةَ فِيهِ وَهِيَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَتَى بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا آتِيًا بِمَحْضِ الْعِبَادَةِ بِخِلَافِ مَا لَوْ عَلِمَ الْفَائِدَةَ فَرُبَّمَا يَأْتِي بِهِ لِلْفَائِدَةِ وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ كَمَا لَوْ قَالَ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ انْقُلْ هَذِهِ الْحِجَارَةَ مِنْ هاهنا ولم يعلم بِمَا فِي النَّقْلِ فَنَقَلَهَا وَلَوْ قَالَ انْقُلْهَا فَإِنَّ تَحْتَهَا كَنْزًا هُوَ لَكَ يَنْقُلُهَا وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ، إِذَا عَلِمَ هَذَا



فَكَذَلِكَ فِي الْعِبَادَاتِ اللِّسَانِيَّةِ الذِّكْرِيَّةِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا مَا لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ حَتَّى إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ الْعَبْدُ عُلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ غَيْرَ الِانْقِيَادِ لِأَمْرِ الْمَعْبُودِ الْآمِرِ النَّاهِي فَإِذَا قَالَ: حم، يس، الم، طس عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ لِمَعْنًى يَفْهَمُهُ أَوْ يُفَهِّمُهُ فَهُوَ يَتَلَفَّظُ بِهِ إِقَامَةً لِمَا أُمِرَ بِهِ.

الرازى

لِلشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ رِسَالَةٌ فِي إِثْبَاتِ الْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ

نَقُولُ: إِذَا أَدْرَكْنَا أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ وَتَصَوَّرْنَا حَقِيقَةً مِنَ الْحَقَائِقِ فَإِمَّا أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ بِحُكْمٍ وَهُوَ التَّصْدِيقُ أَوْ لَا نَحْكُمَ وَهُوَ التَّصَوُّرُ،

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ نَظَرِيًّا حَاصِلًا مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ وَطَلَبٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَسْبِيًّا،

أَمَّا الْعُلُومُ النَّظَرِيَّةُ فَهِيَ تَحْصُلُ فِي النَّفْسِ وَالْعَقْلِ مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ وَطَلَبٍ، مِثْلُ تَصَوُّرِنَا الْأَلَمَ وَاللَّذَّةَ، وَالْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، وَمِثْلُ تَصْدِيقِنَا بِأَنَّ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ نِصْفُ الِاثْنَيْنِ.

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْكَسْبِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي لَا تَكُونُ حَاصِلَةً فِي جَوْهَرِ النَّفْسِ ابْتِدَاءً بَلْ لَا بُدَّ مِنْ طَرِيقٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى اكْتِسَابِ تِلْكَ الْعُلُومِ، وَهَذَا الطَّرِيقُ عَلَى قِسْمَيْنِ.

١-أَنْ يَتَكَلَّفَ الْإِنْسَانُ تَرَكُّبَ تِلْكَ الْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ حَتَّى يَتَوَصَّلَ بِتَرَكُّبِهَا إِلَى اسْتِعْلَامِ الْمَجْهُولَاتِ. وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ الْمُسَمَّى بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّرَوِّي وَالِاسْتِدْلَالِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْجُهْدِ وَالطَّلَبِ.

٢-أَنْ يَسْعَى الْإِنْسَانُ بِوَاسِطَةِ الرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ فِي أَنْ تَصِيرَ الْقُوَى الْحِسِّيَّةُ وَالْخَيَالِيَّةُ ضَعِيفَةً فَإِذَا ضَعُفَتْ قَوِيَتِ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ وَأَشْرَقَتِ الْأَنْوَارُ الْإِلَهِيَّةُ فِي جَوْهَرِ الْعَقْلِ، وَحَصَلَتِ الْمَعَارِفُ وَكَمُلَتِ الْعُلُومُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةِ سَعْيٍ وَطَلَبٍ فِي التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى بِالْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ،

جَوَاهِرُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ مُخْتَلِفَةٌ فَقَدْ تَكُونُ النَّفْسُ نَفْسًا مُشْرِقَةً نُورَانِيَّةً إِلَهِيَّةً عُلْوِيَّةً قَلِيلَةَ التَّعَلُّقِ بِالْجَوَاذِبِ الْبَدَنِيَّةِ وَالنَّوَازِعِ الْجُسْمَانِيَّةِ فَلَا جَرَمَ كَانَتْ أَبَدًا شَدِيدَةَ الِاسْتِعْدَادِ لِقَبُولِ الْجَلَايَا الْقُدُسِيَّةِ وَالْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ، فَلَا جَرَمَ فَاضَتْ عَلَيْهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ تِلْكَ الْأَنْوَارُ عَلَى سَبِيلِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ،

وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً



وَأَمَّا النَّفْسُ الَّتِي مَا بَلَغَتْ فِي صَفَاءِ الْجَوْهَرِ وَإِشْرَاقِ الْعُنْصُرِ فَهِيَ النَّفْسُ النَّاقِصَةُ الْبَلِيدَةُ الَّتِي لَا يُمْكِنُهَا تَحْصِيلُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ إِلَّا بِمُتَوَسِّطٍ بَشَرِيٍّ يُحْتَالُ فِي تَعْلِيمِهِ وَتَعَلُّمِهِ

وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقِسْمِ الثَّانِي كَالشَّمْسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَضْوَاءِ الْجُزْئِيَّةِ وَكَالْبَحْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَدَاوِلِ الْجُزْئِيَّةِ وَكَالرُّوحِ الْأَعْظَمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَرْوَاحِ الْجُزْئِيَّةِ